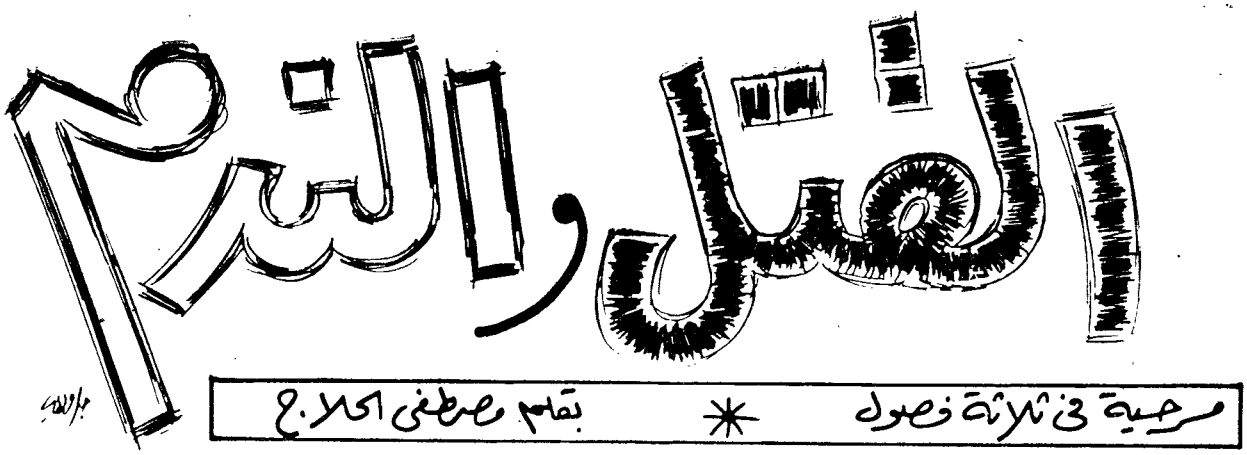


**أعلنت « الآداب » في الاشهر الماضية عن إقامة مسابقة للمسرحية دعت الى الاشتراك فيها جميع الادباء العرب، على ان يعالج الموضوع « قضية قومية او اجتماعية تتناول ناحية او اكثر من حياة الامة العربية » .**

**وقد تلقت المجلة عدداً قليلا من المسرحيات لا يتجاوز العشرين ، وهي بالاجمال مسرحيات ضعيفة في الموضوع وفي التكنيك المسرحي ، باستثناء مسرحيتين جديرتين بالتشجيع ، لما فيهما من وعود ؛ وهما « القتل والندم » للاستاذ مصطفى الحلاج، و «المقاتلون» لـ «جيان» – من بغداد – الذي لا نزال ننتظر ان يكشف اسمه الحقيقي ، لأن هذا اسمه المستعار . وقد رأت « الآداب » ان تمنح كلاً من المسرحيتين ، على سبيل التشجيع ، جائزة قدرها مئة ليرة لبنانية او ما يعادلها .**

**وننشر على هذه الصفحات المسرحية الاولى « القتل والندم » . اما الثانية « المقاتلون » فننشرها في مكان آخر – وقد وضع الرسوم لهاتين المسرحيتين الفنان اللبناني السيد نيازي جلول .**

## الفصل الأول

### المشهد الاول

( قرية جبلية في تونس . كوخ طيني على حافة مزرعة زيتون ، نافذة الكوخ تطل على جانب من المزرعة ، فرحات يقف منتصباً خلف النافذة الخشبية الضيقة . وبضعة رجال منتثرون – قعوداً – في الزوايا وبنادقهم ملقاة على الارض المفروشة ببساط قشي .

بعض المتاع الريفي ملقى في اهمال الى اليسار ، وفي الوسط طاولة واطئة ، يذيع راديو – من فوقها – اخباراً بالفرنسية ، الوقت عصراً ، واشعة الشمس تنسحب مع استمرار المشهد عند عتبة الكوخ ، حتى تنطفىء تماماً الا من وهج الغروب في الخارج .

يلف احد الرجال سيجارة ويلكز رفيقه ثم يشعلها في صمت ، ومن الزاوية يرمق عقبة بنظرات مختلسة فرحات الذي يعقد ذراعيه عند صدره ويميل برأسه كمن يريد ان يبعد خاطراً عنه – كلما توقف المذيع عند مقطع من الحديث.

يتململ عقبة فجأة ويقفز الى الراديو فيلوي الزر محنقاً )

عقبـــة : حسناً ! عليه اللعنة !

**الاشخاص**

فرحات : قائد الثورة
حسيبة : ابنة الزعيم
عقبة
وليد
بسام
فاضل
} من قيادة الثورة
حسّان : زعيم سياسي
حرس ، ضباط ، جنود

فرحات : ( دون ان يتحرك في وقفته ) لماذا لاتدعه يا عقبـــة ؟

عقبـــة : أدعه ؟ .. وماذا فيه من جديد ، سوى اننا ما نزال نغرق في هذا الوحل القذر ؟ ان شعوري ، وانا اسمع اليه ، شعور الرجل وهو يلصق ضفدعة بأصابعه ( يبصق ) .. عليه اللعنة ، ان الخيانة معدية عدوى الوباء !

فرحات : كذلك هي الشجاعة !

وليـــد : ( الى عقبـــة ) اليس الأمر هو ...

عقبـــة : هو .. نعم .. ولكن انت وانا وهؤلاء لم نعد نطيق ذلك .. هيه .. انهم يتحدثون عن الصداقة التقليدية .. هذا التقليد الدنيء ، ويجوّز لهم عبثهم ان يقعدوا معاً ، وراء منضدة نظيفة ويبسطوا امامهم اوراقاً فيسودونها ، ماذا يفيدهم ذلك ؟ اسامع انت يا فرحات ؟ . ماذا يفيدهم ذلك ؟.

فرحات : اني سامع .

عقبة : : الست محنقاً ؟

فرحات : انا ؟.. ( يستدير اليه ) كلا .. فقد تخرج هذه الحلقات الدائرة هناك شيئاً نافعاً .

عقبـــة : ايها الرب .. ومتى كانت الخيانة تفعل هذا ؟. ان الفرنسيين لن

يعطوا شيئاً ابداً ، وكل ما لديهم هو ملكنا .. ولكننا ما نزال نندفع – في تراجع – شبراً فشبراً حتى تحتجزنا هذه الجبال المعلقة تحت السحب – والمسألة مسألة وقت – انهم يؤجلون النهاية امداً آخر . ( يلوح بذراعه ) انظر .. ان شعبنا ينسحب مكرهاً ، ويلقي في ايديهم ارضه ومزارعه واشجاره .. ثم الى اين .. وهذه الجبال هي هي .. ركام من الحجر ننبش في مدرجاتها حفراً تحمل اسواق زيتون هزيلة ، ولكن الصخر يظل صخراً ... وفيما بعد لن نجد غير سنديانه نتفيأها ونشم ريح هذا الوطن ... ( يغلي حماساً ) هم .. هم لا يدركون كيف تفر الحياة من بين ايدينا .. ولكن الفلاح شيء آخر ، انه يعرف مصيره المعلق لدى شجرته .. ويسرقها الفرنسيون مع ذلك ... انكم صامتون لان تعلقكم بالحرية جاف .. بارد .. مثل مفاهيمكم ... انكم ...

فرحات : ( هادئاً ) يا عقبة .. انتظر .. انهم لم يفرطوا عبثاً .. وعندما يدفع احدنا ، فان ذلك يكون عن كره ، وليس من حقك ان تسمي هذا خيانة.

عقبـــة : نعم .. ولكننا نختط درباً مختلفاً ، ويجب ان تنتهي الهدنة ..

بسام : ( وهو متمدد على الأرض ) هذه البنادق ( كأنما يتسار مع نفسه ) هذه البنادق صامتة ، حزينة ، ولقد افجعها ان ازن حديدها بعرق اجدادي .. وتصدأ من ثم في خرسها البارد. ايها الرئيس: لقد اخذوا مزرعتي واجهضت زوجتي على الدرب ثم ماتت .. ان ارضي تدعوني، وتحن الي ، تدعوني فتهز روحي كما تهز أنسام العصر هذه الاغصان في الخارج ، ( يتململ في موضعه ) اني ميت بدونها ، وكل مساء يسقط هناك حيث كنت اقعد على السور وادخن لفافتي يكون لا معنى له بدوني ، واذكنت امشي منجذباً بمرأى الدخان المتصاعد من مدخنة البيت ، كانت العشبة تهمس في اذني .. اني ارى الى المزرعة من فوق هذا المنحدر .. ويسقط شيء ما من قلبي ( يمسح بندقيته في رفق ) .. اعدّ هذه الايام .. ولكني اجرها الآن . . وهذه ( يضرب البندقية ) تضع نهاية لكل الالم ..

فرحات : ( متأثراً ) ولكننا نحن هنا يا اخي بسبب من حنين الارض الينا ، ونزوعنا الى العودة .

بسام : سوف نعود ، اواه ، ان الحرقة تأكل صدري ، وعندما انظر الى السماء من خلال زيتونة ، ويكون العصر هادئاً ، عميقاً يقطعه نداء طير ضال ، احس كأن قلبي يسيل كله حناناً ولهفة: ولكني لست آسفاً الا بسبب قعودي هنا – معطلا – اقلب بين يدي هذه البندقية الخرساء .. (يمسح وجهه بجمع كفه) ، وهي لا تحرك في الا شجناً دامياً موجعاً . ( فترة ) ايها الأخ ! توشك عواطفنا ان تأكلنا اذا هي لم تتجدد، وليس يصنع الحزن الاضعفاً.

عقبـــة : ( مؤكداً ) بل يذبل فيه الرجل شأن نبتة وليدة في شمس تموز .!

( الى فرحات ) أنت ترى يا فرحات ..

فرحات : نعم .. اني ارى ..

عقبـــة : .. يا الهي .. وما ظنك في هذا البرود المميت ؟

فرحات : لست الا جندياً في المنظمة ..

عقبـــة : ( منفعلا ) حسناً .. هل انت من صفهم ؟

فرحات : ماذا ؟ هل نحن نقبل القسمة ؟

عقبـــة : ارجوك يا اخي ، أعرني سمعك ! لقد رأيناك تصغي الى هذه الآلة ( يشير الى المذياع ) ثم تفر مهموماً وتقعد تحت الشجرة ، وتقرض نبتة تحت اسنانك .. وماذا يضيرك ان تفعل شيئاً بدل هذا الهم .. انا لست سوى فلاح ، ولكنك تفهمني بصدق ، ومن اجل زمالتنا في منازلة الموت ، يجدر بك ان تنزع من رأسك مراسه العنيد .. هل تريد ان اذكرك ..

رحات : نعم .. لقد حملتني وانا انزف ..

عقبـــة : .. دع هذا .. اواه بل يجب ان تعيده ثانية ..

فرحات : كنت تذهب وحدك في ظل العتمة وتنسف مستعمرة باسرها ، ويوم ان كنت جريحاً توقفت في الليل ومزقت ثوبك فجعلت منه ضماداً لصدري ، وكان الفرنسيون يفتحون نيران مدافعهم السريعة على الليل فتصرخ حيوانات مذعورة ، وتندفع خلال سوق النبت الملتف .. لقد كنت .. كنت .. ولن يبدل ذلك من الامر شيئاً ..

عقبـــة : .. حاربت جنبي يا فرحات .. وضربنا معاً بالمعول والفأس .. انت لم تنس ؟

فرحات : ( متوعداً ) هي هنا ( يدق رأسه ) .. ان الهدنة لن تنتزعها .. ولماذا تخشى ذلك ؟.

عقبـــة : .. يتهددنا عبث السياسيين ، وماذا ترانا نفعل اذا طلب الينا ان نعود ثانية ؟ .. الى اين .. امن اجل ان نؤجر في مزارعنا ونمسك الدم الراعف في صدورنا من ان يصعد الى شفاهنا الذابلة ، وهو يصعد بالرغم منا ، ونبصق معه ، قطع الجروح التي تتمزق دائماً.. انت تدري تلك الجروح.

فرحات : .. ادرى .. فسيان ان نقتل هنا .. او نموت راكعين تحت السوط.

بسام : دعني اذن اعود الى مزرعتي .. ( ينهض )

فرحات : كيف تفعل ايها الأخ .. ؟

بسام : .. اموت عند سياجها ، فانقذ روحي .!

عقبـــة : اسكت يا بسام .. ان لله الحق في ان ينقذ ارواحنا .! ولست سوى فلاح جاهل ..!

( يقعد بسام ثانية ويشبك يديه فوق رأسه دافناً اياه نحو الأرض )

فرحات : ( ينظر من النافذة ) .. ان الأرض رمز فحسب ، ونحن نبتغي غاية أثمن .. !! ولكنكم تتدافعون هنا .. بين يدي ، من اجل ان ينحر احدكم نفسه ، فيحمل اخيراً الى ارضه .. .. ان تونس الساعة ليست ارضاً لواحد منكم .! ..

بسام : ( دون ان يغير قعدته ) .. ماتت زوجتي على الدرب ..ووارتها تراباً مرتفعاً – في ظل برقوقة .. ان الدوري يغرد لها .. ولكن النجوم المحدقة من الازل تعرف موضعها اكثر مني ..! وانا تركتها وحيدة هناك .. ( ينشج ) .

عقبـــة : ( يقعد بحذائه ) انت لن تبكي ثانية يا بسام ؟.

بسام : لماذا لا يريد الله ان اموت اذن ؟.

عقبـــة : الله .. انه يعرف اكثر منك ! ..

بسام : هو يعرف لانه الله .. ولكني فلاح .. وقد تم زواجي بها عند شيخ القرية ، ودفعت مهراً لوالدها ، وكانت زوجة صالحة ، ثم جاء الناس وقالوا يجب ان نحارب من اجل تونس .. ( يرفع وجهه المبلل بالدمع ن اني احب تونس وانتم فتيان صالحون ايضاً، حسناً، وقد جردتني السلطة م) ارضي ..

عقبـــة : .. لماذا .. لماذا تبكي بحق النبي ؟ ( يشيح بوجهه كيما يخفي تأثره )

وليـد : ( من الزاوية ) دعه يفعل .. انني من المدينة ، وقد كنت ادير آلة ولكني احب الحرية ..

بسام : ( الى فرحات ) ايها الرئيس ، هل تقول لي لماذا نحارب ؟

فرحات : لماذا ؟. لاننا نهادن الفرنسيين ..

بسام : هل سوف يعيدون الي ارضي ؟.

فرحات : لم تكن الهدنة من اجلك ، فحسب ، فهم ونحن نبغي مطالب اخرى، ( يرفع يده مقاطعاً ) ادرى انك تتألم ، وما اظن فداءنا يجدي بدون

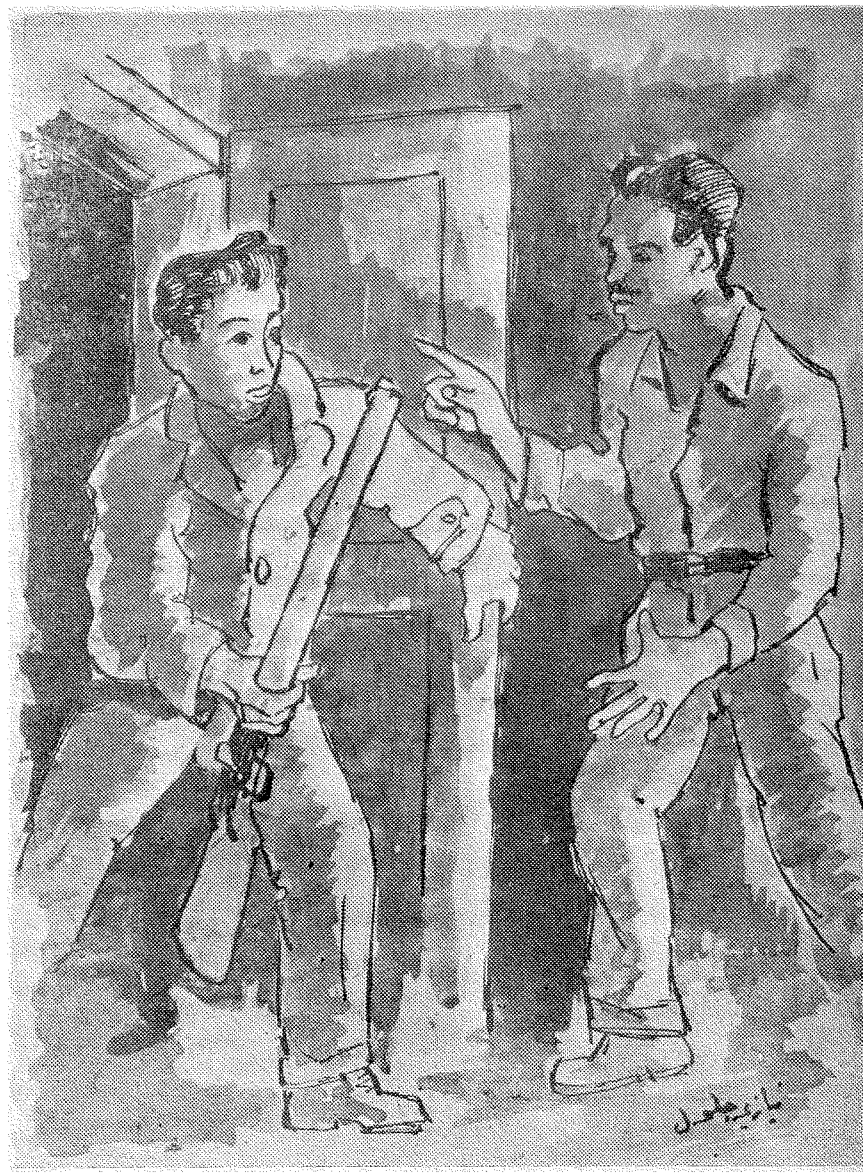

## بسام – اني منتظرهذا الغد ( الفصل الاول)

●

ألم .. غير انك تصرخ – راغباً في الحرب – ونحن وقودها . هل تريد أن تشحن بندقيتك بالغيظ البليد ، وتنسى موقفك هنا .. ثم ترتد خارجاً على القانون ، .. انت .. ( يقترب منه ) انت ثائر ، وقد عُمدتك حربنا المحررة فهل تهمل اخيراً رغبتك في الانتحار .!

عقبة (يربت على كتف بسام) ايها الرئيس ، نحن لانفهم .. ان الانتحار شيء آخر .

فرحات : ماذا تدير في رأسك يا عقبة ؟

عقبــة : .. كلا . ! لست ادير شيئاً ! وتلك هي المشكلة . ( يستخدم يديه في التعبير عن رأيه ، الذي يحاول ان يجمع بين اطرافه فلا يبدو مهلهلا ) .. هل ارقنا نحن الدم ؟.. لقد ربطوا شعبنا الى معصرة الاضطهاد .. لن اقول فلاحين بعد الآن . ! ان الفلاح امي .. ومتعصب .. ولكنهم انشأوا يديرون احجارهم الثقيلة على صدره فيخرجون منها انفاس الحرية كما تخرج معصرة الزيت الكامد الاسود ، حسناً .. ثم هم ينزلون الى مفاوضتنا .. ويناقشون رجالنا عن القدر الذي يجدر بهم ان يرفعوا الحجر عن صدورنا .. ولكن الثقل هو هو ايها الرئيس .. ولن يجدي العبد المقيد ان تخفف عنه بعض قيوده ، نحن نريد الحرية .. نريد ان نمشي على ارضنا في الشمس .. (يلتفت الى وليد) ماذا قالوا ايها الاخ ؟.. ان المغرب جزء من ارض فرنسا .. هيه .. ان وطننا الام ليس هو ما وراء البحر .. ولكنه موصول على تخومنا .. ممتد حتى عتبة المضيق ، وهو ذاهب في الصحراء .. والى الشمال .. وما كان ابداً فيما وراء البحر .

بسـام : ( بآنية ) ان مزرعتي على البحر ، كان ابي يعمل من اجل اصلاح الرمل . ! فيما وراء مسيل الجدول . . . ولكن الماء ظل شحيحاً ومالح .. ثم وفد الفرنسيون علينا وظلوا يضربونه ، حتى عجزت رجلاه عن حمله ، وستط على الرمل على مقربة من البئر المفتوحة ..

عقبــة : .. ضربوه ، بسبب من تكتمه على الثوار .. كذلك فعلوا في قريتي .

بسـام : .. كان ابي قوياً فلم يقض لساعته ، وظل يشخص ببصره الى البئر وهو يلفظ روحه .. انه لم ينبس امامهم بحرف .. وعندما وسدته رجلي .. دلني على مخبأ الثوار .. واوصاني ان انقل اليهم المؤن .

فرحات : ( يمسح وجهه بجمع كفه ) .. ليباركك الله ايها الأخ ..

بسـام : ( يرفع اليه رأسه ) لقد كنت صبياً مذعوراً ، فلم افعل .. كان مشهد السود يوقع في قلبي الرعب ..

( يصر على اسنانه ) اني اكره السود ...

فرحات : .. ليسوا سوى مأجورين ايها الاخ ، .. فهم يفرون من الحرب .. ولكنهم يقتلون بفظاعة اذا ما تملكهم خوفهم الغريزي المكبوت .. نحن لا نريدهم في مواجهتنا .

« فترة »

عقبــة : ( يلتقط بندقيته ويهم بالذهاب ) هل تأذن لي ايها الرئيس ؟.

فرحات : بل انتظر ( يمضي اليه ) لا تدع الحزن يغلبك يا عقبة .

عقبــة : .. ( وهو ينفلت منه ) لست اكره ان امضي الى الحرب ..

فرحات : عقبة .. ( يقف هذا ) لنمض معاً يا اخي ، اني استشعر قلقاً مراً ، ولكنك يجب ان تتبصر فيما اقوله : لقد تعلمنا الحرب .. فهل ترى يقدر سلمنا المعلق ان يهزم ضمائرهم الثائرة ؟..

عقبــة : اني لن احارب .. اليس هذا كافياً .!

فرحات : كلا .. بل يجدر بك ان تؤمن به ..

وليـد : ( وهو يمضي الى الباب ) .. ايها الرئيس .. دعنا نذعن لك في الامر اما ان تمسك قلوبنا ( يلوح بيده ) سوف نظل امناء للثورة .. وهنا مركز الحكم ( يشير الى صدره – الى عقبة ) .. لننصرف أيها الاخ وندع الرئيس يعمل فكره .. سلاماً ايها الاخ .

فرحات : سلاماً ( يمضي الرجلان ، ويتبعهم الباقون ، الا بساماً ) .

فرحات : ( وهو بمحاذاة النافذة ) هل تجدني جافاً يا بسام ..

بسـام : ( ينتبه ) ماذا ؟ ..

فرحات : هل تجدني جافاً ؟.

بسـام : كلا ايها الرئيس ..

فرحات : لماذا يطيعني الرجال اذن ، دونما نزاع ، عندما آمرهم ؟

بسـام : ( مرتبكاً ) لست ادري ايها الرئيس .. انهم يشغفون بك ، ويحكون فيما بينهم وبين انفسهم عنك كما لو كنت شيئاً خارقاً ... احسب انهم يتهيبونك في الحق .!

فرحات : انت يا بسام ؟ .. هل تعرف شعورك ؟..

بسـام : .. انا ؟ .

فرحات : ( يحدق اليه ) .. لقد حلت بينك وبين ان تسقط ميتاً عند مزرعتك الست تستشعر الكره لي ؟.

بسـام : قسماً اني لست كذلك ايها الرئيس ! .. ولكنك تفكر على طريقة

شائكة ؟ .. وليس في وسعي ان اعمل رأسي كما تفعل انت ! ..

فرحات : هل انت صادق تماماً ؟

بسام : ( تطرف عيناه ) .. ايها الرئيس .. انت لا تخشى شيئاً ابداً ! .. ولكننا نقضي قلقاً ونحن معلقون هكذا ! فأن يأتي الموت او نذهب اليه ، خير من ان نظل فيما بينه وبين الحياة ، مسكين ارواحنا على طرفين سائبين متناقضين .

فرحات : اهو المستقبل اذن ؟

بسام : ( محيراً ) لست ادري .. فالغيظ هو الذي يهيجنا ، وليس اوهامنا !

فرحات : نحن بشر – دائماً – يا بسام !

بسام : ادرى يا سيدي ! ..

فرحات : ان الخوف ينبض في صدري ، فعلكم جميعاً ، ولكن جراثيم فكري تلتهمه ، اما انتم فترومون في القضاء عليه ، سبيلا مختلفاً ، .. ليس هو الخوف ما يؤذيني ، ولكنه موتكم الذي لا معنى بعده ، اكثر من موت مقاتل في نزاع صغير ..! انتم تترجحون على حافة بطولة مفاجئة ، غضبى ! وبغيتي هي في ان اجدكم تبحثون عن الموت ، بحثكم عن الآف الاشياء المزعجة المهينة التي تحدق بكم .. وكيما يكون ذريعة خلاص حاسم ، عندما تفل الظروف سلاح كل الذرائع الأخرى ..

بسام : .. ( ينهض في تثاقل ) اني لا افهم ايها الرئيس .. ولكن اريد ان امتثل لما تقول ! ..

فرحات : كذلك .. كل شيء بالامر ؟.. ( يدير وجهه الى النافذة ) .. ولكن متى يخرج الامر من ضمائركم – كما – تخرج هذه النزوات الغضبى ! يجب على الثورة ان تخلقكم مجدداً .. اناساً متوحدين .. في صدر كل منكم نداؤها الحار ، كاملا ومتصلا دائماً .. والا كانت حربنا من اجل تونس ، مجرد حرب .. تنضاف الى موج التاريخ المتعاظم ، فتزيد في تخمته ! ..

بسام : .. ( بآلية ) نعم ايها الرئيس ..

فرحات : نعم .. نعم .. لن يفهم احدكم ان تونس ليست الا سراباً .. في رأسه ، تومض الآن ، ثم ينطفىء اشراقها . ولكن تونس هي الحقيقة ، ببساطتها وكمالها ! .. ( يتكيء بمرفقة على جدار النافذة ) .. يمكنك ان تنصرف ايها الاخ ، .. اني اشم رغبتك في ان تخرج وتجعل نظراتك اللهفى تسقط مع شعاع الشمس المنحرف نحو مزرعتك .. ثم في ان يدور خيالك الضائع ، باحثاً عن شجرة البرقوق ، ومدفن تلك المرأة الصالحة .. زوجتك .

( يخرج بسام .. ملقياً على فرحات نظرة ضائعة لا معنى لها ) ...

فرحات : ( محدثاً نفسه ، ومديراً ظهره الى المسرح ) .. هي ان لم تفعل ذلك ، الثورة ، التفت حول نفسها والتهمت ولدها في اندفاعها الوحشي ! انك تقبض على عنقها وتسخرها ما بقيت في مستوى توترها الصاخب .!! .. ( يدق بقدمه الارض ) .. الثورة تقدم..تقدم مستمر..كحث الخطى المجنونة • انها ان لم تنشق في قلب البشر ، كما تنفجر قنبلة عند هدفها .. دارت وسحبت وراءها الارض .. ماذا تقول يا عقبة عن الفلاحين ؟ .. متعصبون .. جهلة !! ( يسمع صوتاً فيما وراء النافذة محيياً ) سلاماً ايها الأخ.. الفلاحون متعصبون للارض ! .. انهم يملكونها يا عقبة ! ولكني اريد ان املكهم شيئاً اعظم .. اريد ان املكهم انفسهم ، وليست الثورة الا مهاداً لهذا الغرض ! ..كلا .. لا تستحق الموت من اجل ان تملك الارض !.. الموت يحسم النزاع ايها الاخوة ، وتكون الملائكة من نصيب الحي !! ثم لا يتجدد شيء .. ذلك تافه ! فالموت امر عظيم وشديد الروعة ! انه يرفع الانسان كله عن الارض ( يتوقف فترة ، وينتبه الى ان الغرفة خالية من الرجال .. وانه كان يتحدث الى نفسه .. يضحك في مرارة )

فرحات : .. نعم .. سوف استمر وحدي ! فانا اعرف لماذا اموت ! .. ان فرحاتاً آخر يريد ان يجتذبني اليه .. ولست اكره ان اتراجع وانخذل .. ولكني مستمر مع ذلك ! . ليست لي ارض ( يبسط كفيه ) .. اني ابحث عن مصيري ... عن تونس .. عن الانسان .

« يسدل ستار المشهد الاول »

## المشهد الثاني

( الكوخ نفسه ، والوقت ليل .

الرجال قاعدون وقد التفوا بعباءاتهم ، ضوء المصباح الزيتي تتموج ظلاله على وجوههم المتجهمة بفعل هبات النسيم المتسربة من النافذة ، يظهر ثلاثة رجال جدد حول المنضدة ، ما يزال بعض القاعدين يقضم شيئاً ما في يده .

فترة صمت والستار مرفوع ثم يظهر فرحات عند الباب .

عقبة ، وليد ، بسام .

وليد يقدم كرسياً لفرحات فيجلس هذا عند زاوية المنضدة ويقف وليد بحذاء عتبة الباب .. يتبادل الجالسون علبة صفيح صغيرة ، يلفون منها سجائرهم .. )

فرحات : ( يميل بجسمه كله الى المنضدة ) لقد رتبت شيئاً في رأسي .. وهو انتم تأتون هنا وروؤسكم ممتلئة كبرياء .. انت ( يشير الى واحد من الجدد ) .

الرجل : لست انا .. هم .. حسناً !

فرحات : لست انت .. لقد قلبت خمس شاحنات بعتادها ، وفي القطاع الشمالي تظهر للمرة الاولى في ايدي الثوار ، بنادق سريعة الطلقات .. هيه .

الرجل : اني .. ( يتردد ) اقول لك ايها الرئيس ، لن ارد !

فرحات : وهل انا قائد نظامي ؟

الرجل : ادري ايها الرئيس ..

فرحات : ثم ؟

وليد : ( من طرف الكوخ ) لا فائدة ايها الرئيس .. لنحاول كرة اخرى ، فان البداية سيئة دائماً !

فرحات : نعم هي البداية فحسب ، وينتشر بعد ذلك تصدع في الثورة اذ يضرب كل منكم في مكانه اصلا من جذورها .. نحن نحارب بلا هدف .. اقول لك ايها الأخ .. انت لا تنتظر ان تتلقى الصدمة ، فسرعان ما يهيج غضبك . لكأنما مرأى الجنود يفعل فيك فعل السحر ..

الرجل : ( يتحرك في مقعده ) هم .. كانوا في طريقهم الى المنطقة..وفي غير هذا الظرف ..

فرحات : .. ما ظنك ؟ .. الم نرد نحن ايضاً هذا الظرف ؟

الرجل : ( يهبط في جلسته ) حسناً .. هذا ما فعلت ! .

وليد : ( من خلال الظلمة ) ان الرجال يعملون بدافع عفوي ايها الرئيس ..

فرجات : هو حق ايها الاخ .. ان كلا منكم ثائر .. فالخديعة ثقيلة ، هي اثقل من ان تدخل قلوبكم ، وليس من شيء اكثر حقيقية من ان تموتوا . حسناً .. لقد اوقعوا بنا ، وان نصف من كانوا يفاوضون حول المائدة ، يقلبون الآن آراء هم في السجن ثم هم يكبسون المعركة . اني .. ( يضرب المنضدة بيده ) اني اكره السياسة وليست هي الا خدعة .. انتظر فان الحرب امر مختلف ..

وليد : ايها الرئيس .. ان الذين أدخلوا السجن ، يطلبون منا ان نبدأ ..


١٣

فرحات : كلا .. لست اظن ذلك .

وليد : .. آسف ايها الرئيس .. فالشعب يريدهم .. اننا هنا من اجل ان نفتدي عذابهم الصغير ، ولكني ارى شيئاً .. فالثورة اخطأت اذ هي جعلت الفرنسيين يضربون اولا .. وذلك فحسب بسبب انتظار الامر . ترى، من هو الموكل بان يشعل النار ؟. ان احدنا ليذهب نفسه وهو يبحث بين الانقاض ...

فرحات : نعم ..

وليد : ( يقترب من الطاولة ويواجهه ) انت تحاكمنا الساعة ، فقد اعطيناك الحق بان تفعل ... وذلك بسبب من عنادك وتمردك ، وهذه القـ ليست هي الشائعة في المدينة .. انت تنتزع منا هذه الثقة ونقاومك من اجلها دائماً في تجربة مريرة مشتركة .. خشية ان نسقط .. وكلما ازددت عناداً ازددنا تعلقاً بك .. ( يلوح بيده ) ولكنك تدرك ان لا قانون هنا .!

فرحات : .. لا قانون ، .. ايها الاله . كيف تقدر ان تنكر الشريعة ..

وليد : حسبي ان التزم حد الفصل بيننا ، وانه لمرهف الى الدرجة التي يقطع بها في طيش ، عنيت ايها الرئيس ان الرجال ملتزمون بشرفهم هذه القاعدة .. فقد وجدوا من اجل الحرب ، واي احتكاك سوف يجعلهم يرفعون بنادقهم في وجه الخطر ..

فرحات : انتظر .. اني ما زلت جندياً ايضاً .

وليد : هيه .. ان كبرياءك هي التي تجعلك جندياً وانت قائد .. وهذا حق ايها الرئيس، ثم هل رأيت الى المشكلة بوصفك محارباً ؟.. انذلك هو خطأهم (يشير الى الرجال) فقد شاموا في حركات المرتزقة، وفي اعتقال الزعماء السياسيين ، ريح الغدر ، وماذا يعني الغدر ايها الرئيس ؟.. اليس هو مجافياً لطبع المحارب ؟

عقبة : ( في صوت عميق ) احسنت ايها الفتى ..

وليد : دعك الآن ، نحن نعالج اموراً اكثر جدية .

عقبة : هذا حق .. اني أسمع اليك يا اخي .

فرحات : ( يشعل لفافة ويتأمل دخانها المتلوى ) .. ثم ماذا ترى ؟ ..

وليد : اني ارى ( يتطلع الى الرجال وهو يغادر وقفته في الظلمة ) .. ارى ان ننقل اليك زمام الأمر فليس ثمة من اخبار تقطع المدينة الينا ، نحن الآن في عزلة ، ومن الحق ان نفصل في وضعنا هذا .. وفي وضع الجد ( يتردد ) لست ادري ما اذا كان هذا سليماً تماماً ، ولكن يخيل الي انه ملائم .. انك تتلقى في صدر المواطنين جميعاً غضباً متأججاً ، وان الحمية لا تفتر قط .. فكل يجد لنفسه مبرراً للموت .. ولكننا نحن . .

( يحاول عقبة ان يقاطعه فيمنعه فرحات باشارة من يده )

وليد : .. كلا .. لا اريد ان ابعد الى حد الفوضى ، لكن عندما لا تكون هناك حكومة ، وهل نقر نحن بشرعية تلك المفروضة على الوطن ، – برغمنا – واذن فان رابطتنا فحسب هي ارادتنا ، هل تفهم مني هذا اني ادعو الى الفوضى ؟ .. ان الشعب لن يقطعنا ، ولماذا يكون ذلك ؟ اليس لان الرجال يموتون ؟ ومادمنا نغذي بضحايانا ضمير الشعب ، فانه ثائر وراءنا ، ولكن السياسة تدور وتلوح له بالهدوء ! .. والاستقرار .. والحلول النصف.

فرحات : ( مهتزاً في مقعده ) حسناً ايها الاخ .. استمر ..

وليد : السياسيون يقبلون النصف لانهم يدفعون النصف فحسب ..

فرحات : واذن ...

وليد : ( يمسح على وجهه ) احسب ذلك كافياً ، فنحن لسنا بسياسيين ، الثائر يعطي حياته في جموحه النفسي وليست لنا حكومة او شريعة . ونحن لن ننزل عن حقنا، والا كان دم رفاقنا القتلى قد ذهب هدراً ..ثم بعد .. لم ينزل الفرنسيون الى حيث يمكن ان يلتقي رجالنا وجنودهم دون ان ينزع احدنا الى الحرب . ( يلوح بذراعه ) .. لماذا تدعني اتكلم هكذا .. نعم ان وصاة الثورة لم يصلوا الى نتيجة حاسمة، فقد رضي بعضهم– على ما احسب – بالنصف خشية او رغبة.. وقنع الآخرون بالذهاب الى السجن.. ( فترة ) .. ايها الرئيس لقد فشلت الهدنة ، وان الامر بالحرب ينفجر من قلب المحارب ، قبل ان يتلقاه مكتوباً على الورق ( مؤكداً ) حسناً .. لقد تكلمت ..

فرحات : لقد تكلمت .. فهل اعطيتني حلا ؟.

وليد : انا ؟.. لم اعرض عليك حلا، بل عرضت واقعاً، انهؤلاء( يشير الى الرجال الثلاثة ) قد بدأوا الحرب ، وذلك لقربهم منا ، لقد اكتشفوا الغدر ، ونحن ما زلنا في توقع له ، واني .. اني ماض الى الحرب غداً .

فرحات : لن تكون وحدك ايها الأخ ..

وليد : .. انت تقدر روح الثورة .. اني اثق بك ..

فرحات : انتظر .. فانا لا اجيز امراً بتبديد الرجال ...

واحد من الجدد : ايها الرئيس .. اننا لو لم نفعل ، لحدث مالا تجيزه انت .. فالرجال يريدون الحرب ..

فرحات : ( ينهض ) لست اقبل هذا ! .. نحن نحارب من اجل فكرة وهدف .. وليس من اجل شهوة ..

الرجل : اواه ايها الأخ ، ان احداً منهم لا يقدر ان يحب المرتزقة ، فهناك سبب يدفعهم الى الجنون ،.. لابد من سبب ، انظر ايها الاخ الرئيس .. ان القضية بدأت في رأسي هكذا .. في شكل تساؤل .. لماذا هم الفرنسيون في موضعهم من وطني ؟.. اني لم افهم كثيراً مما قاله اخي هذا ( يشير الى وليد ) ولكن السؤال بدا ساماً كالحية الطفلة، ثم انشأ ينتشر في رأسي وهو يتخذ لنفسه الف شكل .. ان الفرنسيين يسرقون غلاتنا وينازعوننا مزارعنا، ويدوسون كرامة الرجل .. وينظرون الينا من عل ،.. ولكن لماذا ؟.. ايها الاله .. هل يقدر الانسان ان يقبل فكرة الخطأ وهي تنهش في داخله ؟.. انتم تعللون ذلك بتعلق الرجل بالحرية .. بحبه لوطنه .. بالشرف .. كلا .. ولكني انـا ( يدق رأسه ) لست ادركها كذلك .. اني لا اريد ان يسرقني احد او ينازعني رزقي .. او ينظر الي غريب من عل .. لم أخطىء انا في شيء.. فكيف يكون في ميسور غريب ان يكسر من حدة روحي .. فيجعلني ، مستحقاً هذه المذلة .. ماذا يقول السود ايها الأخ ؟

وليد : .. ان هذا يتم باسم المدنية ! .

الرجل : تباً لها .. هيه .. كنت اقول ( يتردد ) لا شيء في الحق .. اني على استعداد للموت من اجل ان اعرف معنى لهذا .. ثم .. ثم ان الله لا يريد ذلك ، ولا يحب ان يفعل بي غريب مثل هذا الفعل .. ( الى فرحات )


يصدر قريباً

رباعيات الخيام

ترجمة شعرية

للدكتور جميل الملائكة

طبعة مترفة

صورة تعبيرية مع كل رباعية

هل يريد الله ايها الرئيس ؟ ..

فرحات : كلا يا اخي !

الرجل : واذن .. هذا هو السبب بالضبط .

فرحات : ماذا ؟

الرجل : ( في مرارة ) انه السبب الذي حدا برجالي لضرب الفرنسيين .

فرحات : ايها الاخ الطيب .. انتم الثلاثة بدأتم الحرب ، ولم يأتنا امر من المنظمة !

الرجل : ذلك هو ..

فرحات : وسوف يفككنا هذا التطوع المباغت .. ان شيئاً ما يحدث الآن في المدينة ، ولكننا لا نملك الحق في ان نبدأ الحرب .. هل رأيت الى هذا ؟

الرجل : نعم .. اني ارى .

فرحات : واذن ؟ .

الرجل : واذن .. نحن لم نبدأ ، فقد وقع هذا فجأة ، ولم يكن في وسعنا ان نتجنبه اونحول دونه . ثم ان الرجال ينفضون عن مواقعهم ويرتفع ثمة بعض الهمس ، فاذا شرع الفرنسيون في الغزو وفي دعم تحصيناتهم ، واذا كان بعض القرويين يحملون الى مواقعنا انباء الخيانه ، واعمال التفتيش والاعتقال التي يقوم بها الجند في انحاء البلاد . نعم .. ان الرجال لا يسألون شيئاً .. ولكنك تحس ذلك الهمس المتصاعد بين الفينة والاخرى .

فرحات : .. ايها الاخ نحن نريد يقيناً في هذه الاخبار !.

وليد : ( منفجراً ) اليقين ، تباً له ، ليس من يقين في شيء .. ارجوك ان تسمعني يا فرحات .. ( يتردد )

فرحات : ( في صوت هادئ ) نعم ..

وليد : لن تكذبني انت .. فما هو رأيك ؟ ..

فرحات : .. ( يخفق المنضدة ببعض اصابعه ) ان ذلك حق كله ..

وليد : فلنبدأ أذن ..

فرحات : ( ينظر اليه وهو يعض على شفتيه ) ..

وليد : نعم ان بيدك زمام الأمر ، وفي هذه المنطقة ثلاثة الآف من المسلحين ينتظرون اشارة .. هي من يدك حاسمة وامينة ، .. افعل ذلك يا فرحات .. افعله من اجل الله ! !

فرحات : ( بآلية ) ثلاثة الآف .. نعم ..

وليد : هؤلاء الذين نسلمهم قيادك .. هل تنتظر ان تفرخ الخيانة ؟.

فرحات : ( ينهض ويدور في الغرفة ثم يقف قبالة وليد ) انت لا تسألني . لا أحد فيكم يريد ان يقبض تهيجه المتمدد الحار .. انتم محاربون ، حسناً ، ولكننا ننظر فيما وراء ذلك .. فاذا قطعنا الساسة واذا لم تكن لنا حكومة ، واذا وضعنا شرائعنا بانفسنا ..

وليد : نعم .. نعم .. تلك هي القضية .

فرحات : اني عندئذ ارفض ان اموت من اجل طعن فرنسي فحسب ..

وليد : ليس من اجل القتل ايها الرئيس .. فالهدف هو ان يجلوا عن تونس .. اقول لك المغرب .. ارض العرب كلها .. من حد الماء حتى تخوم الصحراء .

فرحات : ضعها اذن في رأسك .. تلك الحرية هي وحدها جزاء حربنا .

وليد : نأخذها ايها الرئيس بالحرب .

فرحات : نعم بشرط ان تكون الحرب مشروعة ..

وليد : وكيف نجعلها كذلك .. ابأمر مكتوب يحمل الينا من المدينة ؟ .

فرحات : هيه .. نحن الآن في فترة سلم .. ثم ..

وليد : الم ينكث الفرنسيون به ؟ ..

حسيبة – هكذا .. استمع الى نشيد صدري !

( المشهد الاول من الفصل الثاني )

فرحات : ( يدور في الغرفة مثقلا ) لقد نكثوا .ان ذلك يجرح كبرياءنا ويجعلنا خطاة في حق انفسنا وانكم لثائرون على آمالكم المهانة .. وكذلك ( يلتفت اليه ) ان التراجع مخز ، وتخشون ان تلمسوا في اعماقكم ذلك القدر الهين من الجزع .. انت لم تثق بالسياسيين .. لم تثق يوماً .. ولم تؤمن بالهدنة ، وانت لا تفاوض .. وانت ..ايها الغبي..اننا نضع انفسنا في مركز القضاة والشريعة والمستقبل.

وليد : ( ثاقب الجرس ) حقاً ايها الرئيس .

فرحات : فلنكن اذن مسؤولين عن الوطن .. والسياسة .. والخونة والغدر ، فليست السياسة لعباً ! ..

وليد : بل لعلها .. ايها الرئيس فوق ذلك ايضاً !.

فرحات : حسناً .. انت تدرك الغاية ايضاً ! فثمة الف ضرع يغذي الثورة ، وهذا النهر العظيم عندما ترفده مصاب الجداول يغدو السير في خفة اعظم ..

– التتمة على الصفحة ٨١ –

# القتـــــل والنـــــدم

ـ تتمة المنشور على الصفحة ١٥ ـ

ثم انت تعرف هذه الجداول ..

وليـد : اعرف .. نعم .. فالاستقلال ليس معنى غامضاً خيالياً .. انه موصول بالارض والشعب .. اني ادرك السبب الذي يدفع الفلاح والعامل والمثقف الى الثورة ، ولكن عليك انت ان تصمم الهدف . فلا ثورة بدون معنى واذا هي حدثت كذلك ، كانت دون مستوى الدم الذي يسفح كل يوم ..

فرحات : ايها الاله .. لأنت آخذ برأي وتحثني من ثم الى العبث بهذا المصير كله .. اني اقبل هذا من عقبة. اما انت ..

عقبـة : ( يتململ في مقعده ) هيه ..

فرحات : انتظر .. لست اريد رأيك .. فانت وزناد البندقية في صف واحد . ( الى وليد ) انت تجعلني مسؤولا ولست اجد مبرراً بعد لان اقدم دون ان اجد العذر الكافي للاقدام .. قلت العذر ، نعم فان هؤلاء الرجال .. الثلاثة الآف هم طليعة الشعب .. ولعلك لا تفكر بما في اقدامهم من تصميم الملايين . . انا اريد ( يصر على الكلمات ) اريد ان يبدأ الرجال ليس من اجل هذا الجموح الذي يغلي في داخلهم ، وانما من اجل وعي حقيقي ايضاً .. فقد خرج العرب غزاة مئات المرات .. اما خروجهم بارادة الله فانت تعرف ماذا حدث .. انهم لم يطعنوا العدو فيردوه فحسب . . وانما طعنوا الظلم والخطأ ايضاً .. نعم الخطأ. والا فما معنى الكفر والاشراك .

وليـد : اخال ..

فرحات : بل دعني اتم حديثي .. ان قتل الفرنسيين لا يمكن ان يبرر الا اذا كان هذا الفعل موصولا بمثل .. هذا هو ما اطلب . . اريد المثل . . فهل الحرب تزودنا بها ؟ . .

وليـد : ان السياسة دون مستوى الثورة ..

فرحات : نعم الآن دونها .. وهي تخطىء حقاً .. بل قد يغدر بنا اصحابها .. ولكنها تلخص لك المبررات ثم تحييها انت بالدم .. السياسة لا روح لها .. انها مجرد تصور .. ولكن مصائر الرجال هي التي تصنعها . . وتبث فيها الروح .. انقل اليها اذن منطق الثورة .. اسحبها اليك .. ( يتردد ) تريدان تسن شرعة ؟ حسناً .. اقتل هؤلاء الخونة .. المترددين دون قضية الوطن .. فالخائن في مستوى المستعمر دائماً بل هو اشد نكراً ..

وليـد : ادرى .. ولكن ماذا يجدينا هذا الآن ؟.

فرحات : .. انه يربطك بالشعب القاعد في متجره . . ومصنعه .. وحقله .. واذا لم تفعل نخر السياسيون في جسم الشعب فاضعفوا من عناده .. انك لاتقدر ان ترى الناس الا في مستوى البطولة .. ذلك هو الخطأ .. فنحن لسنا آلهة . وحتى انت تريد لو تقدر لك الراحة .. لو تحسها ساعة او بعض ساعة .

وليـد : ( مصراً على عناده ) ماذا يجدينا الآن ؟.

فرحات : ايها الغبي دعهم يثيرون العامة .. فنحن لسنا متراساً لهم .. نحن ننهض الى غاية اعظم ! ..

عقبـة : ( ينتفض في مقعده ) هو ايها الرئيس !

فرحات : كيف اذن .. يجب ان تشرك الساسة في الثورة ، وهم لقربهم من الشعب اعظم منا عدة لدفعه واثارته .. الثورة دون الشعب ميتة .. تنقلب عندئذ عملا بطوليا غير انساني .. عملا اسطورياً ..

وليـد : اني ادري .

فرحات : انتظر .. ان الشعب يثق بنا ، حسناً ولكن لاتدعه ينظر اليك ويغلي حماساً، كمتفرج يشهد معركة ناشبة في حلبة امامه .. نحن نضرب ، ويجب ان يدفع الشعب الثمن ايضاً ، ويؤكد بتضحيته المتكررة على الغاية .. بل ان الغاية تنبثق من قلب التضحية كنافورة من النور الدائم . . الواضح . . الغاية .. لماذا نحارب ؟.. لماذا تحدث هذه الاشياء جميعاً .. ان الشعب يتغنى بالبطولة وانها لتمسح على ما يفيض في اعماقه من آمال مقهورة ، ولكن معاناة البطولة هي وحدها التي تجعل الاغنية ذات طعم لاذع .. مثير .. طعم يذوقه الناس في ارغفة الخبز .. في الماء .. في المصنع .. في المدرسة .. في الشارع ..

وليـد : .. الا يشترك الشعب معنا ؟ ايها الرئيس ؟.

فرحات : نعم .. ولكنك تقسمه اذا جعلت من نفسك وحدك قاضياً عليه .. نحن جنود المنظمة تلك الرؤوس المبدعة في المدينة قد تخطىء وقد تخدع، وقد تضعف .. ولكنها لا سلطة لها فعلية على العضد .. ان العضد هو انت وهو انا.. وهو هذه الجموع التي يسمها الضعف ، وما هي الهدنة او التسوية ؟ ان سياسياً واحداً لا يجرؤ ان يجابه الجموع بحل النصف دون ما اثارة .. فاذا كنا نضرب على غير هدى فنحن اذن نزوده بما يحتاج اليه لمواجهة العامة وترويضها .. « هم يعطون الفرصة .. ان الفرنسيين يسلمون بالاستقلال ولكن لنضع لهذه الحرب البشعة حداً » .. ثم ماذا ؟ لسوف ترى رأس بندقيتك مصوباً الى صدرك .. فهو يجردك من الهدف ويجعلك محارباً تافهاً .. خارجاً على القانون.

وليـد : ( ينفعل ويلقي بنفسه الى المقعد ) ان هذا محير .. لست افهم مثل هذا التعقيد ! .

عقبـة : ( في رغبة لان يحسم النقاش ) ايها الرئيس .. هل ترى انه في وسعنا ان نظل على ارتباطنا بالمنظمة .. ؟

فرحات : المنظمة هي الوطن الآن .. فاذا هي تخاذلت ، اوسعنا لها طرف الخيط فتلحق بنا ، والثورة الساعة تجوز اشق اوقاتها ، فاذا حفظنا الوحدة بين المبدأ والساعد كان في وسعنا حقاً ان نقيم للناس شرعة عدل فريدة ( يتردد زمنا ثم يذهب ثانية الى النافذة ) .. نحن لن نترك في الوسط شيئاً .. الوطنية او القتل. هذا هو كل شيء .

( ينهض الرجال الثلاثة الجدد من مقاعدهم )

فرحات : ايها الرفاق .. ( ينتبهون اليه ) ان حدودنا حرام على الجند . وليمسح محاربونا صدأ اسلحتهم

الاول : ( في شيء من الجذل ) سوف نحارب ايها الرئيس ؟

فرحات : نعم .. ولكنكم تلتزمون منطقة الثورة ، ولا تغيرون على تخوم الحرس .. ثم .. ( في لهجة حازمة ) سوف يقود وليد مجموعاتكم الثلاث ..

وليـد : ( منتفضاً ) انا ؟

فرحات : ( في جرس قاطع ) هذا هو كل شيء .. اني منتظر امر المنظمة .

يصافح الرجال الذين يلتقطون بنادقهم الاوتوماتيكية من على الارض ويتسللون من باب الكوخ واحداً أثر آخر )

ـ فترة صمت ثقيلة ـ



٨١

وليـد : ( ينهض ) اني ..

فرحات : ( يذهب اليه ) ايها الأخ . ( في صوت رقيق ) انت لن تقبل بان يحبس احدنا شيئاً في صدره .. وماذا يربط المحاربين اذن ؟. ان قلقاً واحداً يتقاسمنا جميعاً .. فعل الرجال الذين يجعلون مصيرهم توتراً دائماً متصل النفس نحو المجهول .. ايموت احدنا وهو يحبس صرخة الجموع في نفسه ؟. وهذا النزوع النبيل كعزف الموسيقى يدق ابدا في قلوبنا لأن نحقق الأفضل .. هيا يا اخي .. نحن نعرف لماذا نموت .. فهل ترى يجدر بك ان تترك المحاربين هنا يفعلون كصائد حاذق في الغابة ،.. ولا شيء فيما وراء ذلك يداخل ارواحهم المهددة ابداً بالخطر ؟.

وليـد : ( يربت على ذراعه صامتاً .. ثم يتحول الى الباب )

فرحات : نسيت شيئاً ايها الأخ ..

وليـد : ( يرجع بآلية ويلتقط بندقيته )

فرحات : ثم ..

وليـد : ( يلتفت اليه قبل ان يمضي ) اني لن اموت ايها الرئيس ..

فرحات : ( في جرس خشن حار ) حسناً يا اخي ، ليحفظك الله ..

( عقبة – فرحات – بسام )

عقبـة : ( فجأة ) فرحات ..

فرحات : نعم يا عقبة ..

عقبـة : هل كنت واثقاً ؟ ..

فرحات : ( يقف قبالته ) واثقاً .. لست ادري .. ولكني جعلته مسؤولا كيما يكون هذا النبل الذي يصرعه اقل جمالا واحفل بالواقعية. فنحن لانعطي نماذج للانسان .. كلا .. بل نحن محاربون .. وابطال لهم هدف ارضي ..

عقبـة : لو سمحت له ..

فرحات : نعم لو سمحت لكم جميعاً .. لوقعت على هذه الارض مجزرة .. حدث درامائي فحسب .. فقد جرب رجل منكم قبل الف عام ان يعبر المحيط باحصنة جنده ، وكان يلوح لعدو وهمي فيما وراء ومضات الشمس على غوارب الموج .. ان هذه مغامرة فذة .. ولكنها غير بشرية .. ( يتردد ) انت تعرف يا عقبة فقد يحدث ان يستشعر الانسان بعض الالوهية في نفسه .

عقبـة : ( يلوح بيده ) .. هيه ..

فرحات : هكذا .. هو ( يشير بيده الى الباب ) يمشي على ارجل لا سلطة للخوف الغريزي عليها .. ارجل لا يجري فيها دم حقيقي .. وهي مسوقة بارادة معجزة ..

عقبـة : نعم ..

فرحات : ..بل انت تريد ذلك يا عقبة .. اني المح هذا الوهم في ومض عينيك ، ويريد احدكم ان ينحر روحه تخلصاً من هذا التمزق الداخلي .. فثمة شيء خطأ . شيء مفروض ، ولكن بطولة الانسان تتمرد عليه ولا تستطيع ان تبعده..ثم لا تستطيع ان تداريه ايضاً .. ان ذلك مؤلم ياعقبة ، ولكنك لا تقنع بنصيب عادي .. كذلك انتم جميعاً.. يموت البطل لان روحه تتمرد على العجز والامكان في محاولة حاسمة لان تضع عظمتها في صف مواز تماماً لهذا الخطأ المفروض فتصبح بذلك هي ايضاً فوق الممكن ..

عقبـة : نعم .. نعم ..

فرحات : واذن .. يلزمنا ان نخطيء ونتردد .. ونضعف .. ونظل رغم ذلك ثائرين .. ان هذا وحده هو الممكن لكل الناس .. تكون السياسة ممكنة .. تكون الثورة ممكنة .. فهي من صنع الناس ..

عقبـة : تكون .. نعم .. ايها الاخ .



فرحات : ( يشعل لفافة ويذهب الى النافذة مولياً ظهره للجمع ) .. لقد بدأ ملل حقيقي يداخل ارواحنا .. ويخيل الي ان الهدنة لم تشرع لتريح المحاربين . وانما لتجعلهم اكثر توقاً للقتل ، فلا سلام ثمة بين حربين . ( فترة صمت ) .. انت تسمعني يا عقبة ..

عقبـة : نعم .. ايها الأخ !

فرحات : اذا كان الغد نزلت الى المدينة ، وقطعت هذا الخيط الذي يمسك علينا الملل .. هل تدري يا عقبة اني اريد هذا الغد ؟

عقبـة : نعم .. انت تريده ..

فرحات : ( يستدير اليه ) لماذا تعيد ما اقول انا ؟.

عقبـة : ( مفاجأ ) .. هيه .. لقد اعتدت ان ابصر خلالك نفسي ..

فرحات : ماذا ترى ان نفعل اذن؟. وانت يا بسام.؟. انك لتحسن الاصغاء وما اخال كل شيء يدور في رأسك عبثاً ! ..

بسـام : .. ان وليد اكثر صراحة منك .. وانت مع ذلك تعرف عن الانسان اكثر مما يعرف ..

فرحات : نعم ..

بسـام : اني منتظر هذا الغد .. ( يحمل بندقيته ويمضي )

( فرحات – عقبـة )

عقبـة : ( يمضي الى النافذة ويريح يده على كتف فرحات ) تنازعني رغبة الآن

فرحات : ( في صوت جاف ) .. ادري ..

عقبـة : اسامع انت الى هذا الصمت ؟..

فرحات : ما هو هذا ؟.

عقبـة : هل ..

فرحات : ( يلتفت اليه )

عقبـة : اواه .. ( مختنقاً ) انت لن تموت قبلي يا فرحات ..

فرحات : .. بل ارجو ان يكون ..

عقبـة : ( في حنان عظيم ) .. كلا .. فلن اطيق هذا . انت تذكر عندما جرحت وحملتك على كتفي . اواه يا اخي .. كنت خائفاً ان ينزف دمك قبل ان ابلغ بك الموقع .. خائفاً كمن يباغته الموت ،وكنت امسح الدموع من عيني كيما يمكنني الابصار في الليل .. واتحسس جسدك الحار بين لحظة واخرى .. وكنت اتوسل اليك ان لا تموت .. واهتف بك متضرعاً ان تحول بين دمك والنزف .

فرحات : نعم .. لقد سمعت ..

عقبـة : ( يشيح بوجهه ) اواه .. اني اكره الثورة بسببك .

فرحات : ( متبسطاً ) اسمع اذن الى هذا الليل فتشغف بها من جديد .. ان الف ذكرى تنبع من الصمت .. الف ذكرى يا عقبة ..

( يسمع وقع اقدام مقتربة من النافذة )

عقبـة : .. تحدثني الليلة اذن ؟ ..

( يظهر رأس رجل غير واضح المعالم خارج النافذة )

فرحات : ماذا ايها الأخ ؟.

الرجل : ليس من جديد ايها الرئيس .. هل تأمر بتبديل الحرس ؟

فرحات : ( ينظر الى ساعته ) .. نعم افعل يا قتيبة .. شكراً لك دائماً من اجل تذكيري ..

قتيبـة : ( وهو ينصرف ) ليحفظك الله يا سيدي من اجل تونس ..

عقبـة : ( في صوت مختلج ) من اجل تونس .. لنتحدث اولا عن تونس يا فرحات ..

فرحات : ( يجره من يده ) نعم ..
عقبـــة : .. وتحدثني عن تلك الذكرى يا فرحات ..
فرحات : نعم يا اخي ..
عقبـــة : ( وهما يمضيان وخيالاهما يترنحان على الجدار) تتنازعني رغبة الساعة .. ( يقف )
فرحات : ادري يا اخي..لكأن الامس هو اليوم .. في صحبتك فحسب ، اجد نفسي واجد تونس .. جديدة دائماً .. متألقة .. مجلوة .. لكأني ارى المستقبل،
عقبـــة : .. نخرج ؟.
فرحات : نعم .. الى الليل .. ليلنا الوحيد .. المليء بالهمس .. وسوف اذكر لك طرفاً من القصة .. فقد كنت من قبل فتى ضائعاً ..
عقبـــة : كنت ..
فرحات : كنت .. بل انا الآن .. فلننفض عن نفسينا غبار السنين يا عقبة .. الحرب تبدأ غداً ( في صوت هامس ) امس والغد .. احسب ذلك كله ملهاة يا عقبة .. لما تمضي ؟. ان العتمة والصمت هما وحدهما اللذان يغريانني بان اصير طفلا من جديد ..

( يفتل عقبة وهو ماض فتيلة المصباح .. ثم يخرجان .. ظلين متعانقين في الظلمة .. يظل المسرح مفتوحاً على الكوخ حيث يتراقص النور الذابل في داخله لحظات .. ثم تهب نسمة من النافذة فتطفىء المصباح ، ويسدل ستار الفصل الاول على ظلمة الكوخ الجبلية العميقة .. )

# الفصل الثاني

## المشهد الاول

( المسرح مظلم ، يسمع وقع خطوات خفيفة ، ينفجر النور فجأة ، حسيبة التي ادارت مفتاح النور ، تذهب الى نافذة الغرفة وتفتح المصراعين الزجاجيين ، وتهمس شيئاً ، ثم تعود فتدور مضطربة في جوانب الغرفة المركومة بالاثاث العتيق المرفوع عن الاستعمال ، كراسي ، ادوات منزلية مختلفة ..

فترة تعود حسيبة ، فتصرخ هامسة من النافذة )

حسيبـــة : ( عند النافذة ) فرحات .. اين انت ؟.
فرحات : ( يقفز الى النافذة ويتعلق بحافتها ) ها انذا .. ( يضحك ) اتأذنين لوطني مطارد بالدخول ؟ ..
حسيبـــة : .. ( ترفع يديها الى وجهها في شيء من الدهشة ) انت .. يا الهي ؟.
فرحات : .. ( يقفز الى الداخل ) هل فعل بي التواري الطويل شيئاً غريباً ؟. ماذا ؟
حسيبة : .. شد ما تغيرت .. وشد ما هي سمرتك عميقة .. ( تتفحص ثيابه الجبلية ذاهلة ) .. ماذا فعلت بنفسك ؟. ( تتلمسه ) .. هذه السمرة .. هل كنت مزروعاً في الشمس كل هذه المدة ؟ .
فرحات : .. الشمس والليل .. نعم .. هما مظهرا الزمان الوحيد حيث نحن .. ولكن .. كم انت فاتنة ! . وكم هو مريح ان اتملاك ! . دعيني انظر اليك لحظة .. كلا .. لا تقولي شيئاً ..
حسيبة : ( تبسط يديها فيضغطها في حنان وقوة ) .. تعرفني يا فرحات ..
فرحات : ( يهز رأسه ) ..
حسيبـــة : تعرفني رغم جهدك الطويل ! .. لا تفكر بالقتل .. لا تذكر غير زمان قريب .. هو في افتراقنا طويل كالدهر .. اواه .. فرحات .. يكاد إسمك يهز اعصاب الناس رعباً كأنه مس تيار مكهرب ..
فرحات : .. هل هو يخيفك انت ؟.
حسيبة : .. انا .. ( ترفع يديه وتقبلها ) .. اريد لو امسح عنهما صبغة الدم .. اهاتان اليدان اللتان مسحتا شعري وغرزتا فيه .. ومشتا على وجهي ..

فرحات : .. ( منتفضاً ) لماذا تذكرينني بالدم ؟..
حسيبة : .. لماذا ؟.. لقد اخذك القتل مني !
فرحات : .. هو الوطن يا حسيبة !
حسيبة : ..نعم .. انه الوطن وقد غدا جلاداً هو الآخر .. يسلخ عنا جلودنا وعواطفنا ، ويلتهم كل شيء .. هذا الغول .. الوطن ..
فرحات : .. حسيبة ! ..
حسيبة : .. ( تنفلت منه ) نعم .. ادري .. فلا حق لي في ان اتهم مثلك ! . وانت تزحم دونها صدرك كل ساعة .. ( فجأة ) لماذا جئت ؟.
فرحات : .. اريد ان اعرف امر المنظمة ..
حسيبة : .. هل جاء دور أبي ؟..
فرحات : ليس هذا بالضبط ..
حسيبة : ..كلا .. ولكن الثورة قلقة من اجله .. فهو لم يزج في السجن ! . تريدون السبب .؟
فرحات : .. مهلا يا أخت .. ان احداً لم يتهم ابالك ..
حسيبة : ادرى .. فقد جئت بنفسك لتنفض عن الثورة هذا القلق .. ثم هو أبي ..
فرحات : .. ( يدور في الغرفة وقد تملكته فجأة عصبية لا يعرف كيف يداورها )..ما اريد ان اقوله خشن يا حسيبة ، ولكن الحرب تغير من طبع الرجل اكثر مما تغير صروف الحياة جميعاً.. انها تعجم الانسان ، فاما ان يلبس لبوسها وتجف منه طراوة المدنية .. واما .. ( يلوح بيده ) ..
حسيبة : واما ...
فرحات : .. نعم .. واما ان يرتد الى نفسه ، قانعاً بنصيبه في السلم مهما كان ثمنه .. والرجال يدفعون على كلا الحالين ، فليس ثمة مفر من ان يتخذ احدنا موضعه مجبراً او مختاراً ... الرجل عندنا اما محارب.. واما موال.
حسيبة : قد اخذت موضعك انت ...
فرحات : .. اوه لماذا تعملين على ايذائي ؟. اني لم انس شيئاً .. هنا ( يضرب رأسه ) هنا يدب شيء ما ، وتضرب جذوره في صدري . ان الحرب نفسها ليست قادرة على ان تقلعه ، وهل ترى في وسع احدنا ان يتخلى عن نفسه .. قلت هو تبدل .. فالثائر يحتاج كل لحظات انفعاله وهو .. لا يبدد عواطفه ..
حسيبة : .. ماذا ؟ الم تأخذها جميعاً ...
فرحات : اخذت ؟. نعم .. ولكن ما زال بعضي يأكلني .. انني امعن في الغضب والقسوة مؤملا ان يحررني انشغالي بتغذية غضبي من ان اسقط ..
حسيبة : .. آه .. يسيئني انك ما زلت تتعذب !
فرحات : ..( يقف قبالها ) هل تفرحين انت ايضاً بهذا النصر فتقتطعين مني شيئاً .. مثل ما تقتطع الثورة والغضب ومثل ما يقتطع مني توحدي .. انظري.. انظري الى يدي هاتين .. وجدي ما اذا كانتا بعد نظيفتين .. تصلحان لان تمسحا شعرك وتعبثا عند اطراف وجهك .. انظري آثار الدم الذي تنفسته مسامها .. قد حملت بهما اشلاء رفاقي وغيبتها الثرى..هاانشبتا اصابعهما في عنق الجند ، وطعنتا بالحربة ...واهوتا بالفأس .. وضغطتا على زناد البندقية .. يدي اللتين اواريهما عن وجهي .. لاتجنب رؤية الدم المسموح كل دقيقة من عمري .. يدي البائستين المنفصلتين عني .. ( يتردد ) هذا هو الغثيان يوقع بك وانت تتخيلين عبثهما بالدم ..
حسيبة : ( تأخذ وجهها بجمع كفها ) لماذا جئت .. لماذا جئت ؟..
فرحات : .. الست ترغبين في ان ابرر امامك فعلتي . وقد رفضت ان تمنحيني شيئاً دون مقابل .. كلا .. بل نصبت نفسك حكماً لادانتي ؟.. اني مدان .. ها انذا اتضرع اليك ، ملتمساً الرحمة .. اني مدان .. عيناي .. وجهي .. يداي .. روحي نفسها مصبوغة بالدم .. فكيف اكون جديراً بك..كيف ؟
حسيبة : ( باكية ) ايها العزيز المسكين .. ايها المسكين ..
فرحات : .. ( يختنق صوته ) .. لن اصل الى رحمتك الا بعد ان اتمزق ..

اهكذا .. ولكن الفكرة لا تهب عزاء .. انها تحرض فحسب .. وهذا انت وادي الظل الذي اهرع اليه لامرغ عند عتبته جبيني المحموم .. كل شيء يغلي هناك .. عواطفنا .. امالنا .. نزاعنا المسلح .. والتمس هنا برودة الفيء . فتعطيني ، فوراناً جديداً .. اني احارب احلامي .. ليلة اثر ليلة .. وانا الذي اسقط .. اما هي فتظل مختلجة تسوقها الى فتاة منعمة همها على تعاقب الزمن ان تحلم .. تنتظرني هنا لتوقع بي .. ولتغرز في قلبي لغة احلام جديدة .. اني .. ( يختنق ويظل يلوح بذراعه عبثاً ) .

حسيبة : ( تمد يدها وهي تسعى اليه ثم ترفعها الى رأسه وتشرع في مداعبته ) التفت الي .. فرحات ...

فرحات : .. كلا .. ان إمساكك اياي لن يقطع هذا الاذى ..

حسيبة : فرحات .. ( تحوط عنقه ، وتجذب رأسه الى صدرها ) .. هكذا .. استمع الى نشيد صدري .

فرحات : ( يقبل صدرها عند شق الثوب ) .. هذا القلب الممتلىء سلاماً ..

حسيبة : .. كيف ؟ لماذا تريدني ايها الحبيب ..

فرحات : .. انت ( يتأوه ) كل شيء .. ! اريد بك شبابي البعيد ، ذكرياتي .. حبي الذي نما مع اللحظات .. ( يقبلها باستمرار من ادنى صدرها الى عنقها ) لا تتكلمي ، دعيني استعيد طهري على صدرك .. آمالي التي قصفها اعصار الحرب . آمالي المهجورة ..

حسيبة : .. لم تهجرها يا فرحات !

فرحات : ( يهدأ ) .. بلى .. بلى ؟.. انها مدفونة دون موت ..

حسيبة : سوف نبعثها ايها الحبيب ! . ولن يكون الوطن اقل منك عطاء ..

فرحات : ( يتخلص ) كلا .. لاحق لي في ان اقرب منك ..

حسيبة : او تسترد ما اعطيتني من عزاء اللحظة .. ؟

فرحات : ( مصمما ) لاحق لي يا حبيبة .. انا الساعة جندي المنظمة ..

حسيبة : .. جزت اذن لحظة ضعف .. وما هو جدير بك ان تفعل .. (تحتد) انت بطل الثورة .. قائدها .. الذي يرجف سماع اسمه القلوب .. انت تقبل ان تخلع ستر بطولتك امامي ؟ قل لماذا لا تحزن .. وقلبك المفعم انانية يصيرك تمثالا بلا مغزى .. لماذا لا تدفن اسمك القديم حيث انت على مهوى جبل ، .. وتقدر عواطفك تقديراً ، فلا تجعل خاطره تعبر على وجهك ، الا بعد ان يثلجها تفردك العظيم ..

فرحات : حسيبة ..

حسيبة : .. تريد ابي .. هو آت اليك .. زنه بمعيارك الصلب .. فقد كان رجلا ، مرة .. لعله ان يثبت امام تفردك .. ( تتردد ) اني لا نصيب لي فيك. لن ارجع الا بعد ان استوثق من ان شيئاً ما في سوف يقهرك .. ( تنظر اليه لحظات في نشوة من الالم وتفر من الباب )

فرحات : ( وحده .. يعض شفته ) .. حربة اخيرة .. لادع هذه البدد تنفصل عني .. حربة اخيرة ..

( يندفع في مشية قلقة .. غضبى في الغرفة .. يدخل الزعيم حسان .. وهو رجل في العقد الخامس او السادس مهدم بفعل السن وآثار ماض عصبي مليء محفورة كاملة على وجهه المتغضن ، المتعب ) .

— فرحات .. حسان —

حسان : ( يقعد على كرسي ) .. لماذا انت غاضب .. ؟

فرحات : .. ( يقف ) لماذا ؟ ان شيئاً ما يجعل الغضب اكثر حقيقة منا .. مناكلينا .!

حسان : .. ولكن كيف اتيت ؟

فرحات : لقد جزت الاحياء الوطنية في النور .

حسان : نعم ، ادري .

فرحات ( متمهلا ) هل يسوءك ان اجازف هكذا ؟

حسان : بلى .. فانت قريب الي مذ كنت طفلا ..

فرحات : .. ولكني الآن واحد من الوطنيين ليس غير ..

حسان : تريد ان تبدأ بمثل هذه الحدة ؟. وقد كنت طامعاً .. ( بتردد )

فرحات : ( يستبحثه ) في ..

حسان : .. ( يأخذ من جيبه لفافة ويشعلها ) .

فرحات : .. حسناً .. انت لن تبدأ . . ان خطتنا .

حسان : خطة من ؟ .. ( فترة )

فرحات : ايها القائد !.. كلا .. انت لن تطعن مثلك . فهي مورقة تجدد فروعها السنون ، ويغذيها دم ماضيك. امهلني ايها القائد .. فقد جئت متلمساً قلبك الثمين . . فلا تدعني اتسول منك ؟..

حسان : ماذا ترى ؟

فرحات : .. لقد نشئت على يديك هاتين .. وصنعت معاييرك نفسي .. هل انا مخطيء ؟

حسان : لست احب ان تستخدم هذه الكلمة « الخطأ » .. فما من شيء هو صواب مطلق .. او خطأ مطلق .. اني اكره ان اصدمك الساعة .. ولكني استشعر ضرورة لان ازيدك ايضاحاً ..

فرحات : .. كلمتين ليس غير .. اما زلت لنا ؟ ..

حسان : اني انا دائماً .

فرحات : هذا هو ردك .. هل تأمن الثورة اليه ؟..

حسان : .. ماذا اجد ؟ انتم تؤلهون الثورة ، وتنصبون منها قدراً يسير مصائر الناس .. الثورة هي ارادتي وارادتك .. فما تصنع الا ما نرسم نحن ..

فرحات : .. حقاً ايها القائد ! فنحن قادتها وصغارها ايضاً !..

حسان : ( يلوح بيده ) .. اي بني .. فرحات .. انما تملؤكم غرارة الفتوة ، .. وليس يصنع الحرية مثل هذا الغضب .. لقد كرهت القتل .. كرهت الدماء وان يجر احدنا خلفه ثقل الضحايا .. وان تكون سنوات عمره مغموسة في فجيعة وطنه ..

فرحات : .. اخشى ان يكون هذا صدأ قلبك ايها القائد .. فالفجيعة شيء سواء .. في الحرب .. وفي السلم .

حسان : ( ينهض ويقف قبالته ) اريد ان اعرف .. هل نقلتم الى يدكم امر المنظمة ؟ ..

فرحات : ( ثاقب الجرس ) .. لم ننقل الأمر .. فالتاريخ هو الذي غل بهـا اعناقنا ..

حسان : .. وقطعتم المدينة اذن ؟

فرحات : .. ليس بالضبط .. فما من طريق لقيام شرعتين في تونس .. الثورة واحدة هي واحدة .. شرعة كاملة . . تتأبى على القسمة .

حسان : ( يمشي على مهل في الغرفة ) وما هو وجه اختيارك لان تأتي الي .. اخشى ..

فرحات : .. كلا ايها القائد ..

حسان : ( ينظر اليه ) .. اكان في اختيارك سر آخر ؟ ..

فرحات : .. تريد المنظمة ان تقدم لها حساباً عن نفسك . . وعن الآخرين..

حسان : حسناً ، انا لم ادخل السجن ، تريدون السبب ؟ هيه ، فقد كان يغبطكم ان تظل حجر السلطة معلقة فوق رؤوسنا ؟.. تريدون هذا العذاب الذي يجعلنا في مثل ضراوتكم وحقدكم ؟.. ان تنظمنا السلطة في صف طويل وتدور بنا ساعات في الشمس .. ثم توصد دوننا اقفال اقبيتها الباردة ، المعتمة

تريدون ان ينتصب أمام اعيننا حارس اسود ، وقد علق في حزامه بندقيته ، مثالا على استعباد تونس .. تريدون عذابنا ايها الفتى .. وليس بسالتنا ، .. ( يتوعد بقبضته ) انت تدري مدى احتقاري لهذا السجن فهو لا ينقل الى صدري مساً مما تأملون.. اني وطني برغم العذاب ، ومن دونه .. ولكن انتم .. اغراس الثورة ، محردون من الهوى .. والنزوات . والطيش ، كلكم عدالة ، حقكم هو مطلق ، مثل الله .. والنبوة

فرحات : ( هادئاً ) ليس من شيء يجعلنا اكثر صميمية ، من ان نهمل انفسنا .. العذاب ليس غاية ولكنه طريق ، وبقدر ما يدمي احساسنا ، بقدر ما نبلغ في اهمال انفسنا الغاية .

حسان : .. لماذا ؟ قل انت لماذا ؟ .. اني انظر الى الشعب ، .. فهو يبدد بفعل نزواتكم .. انظر كيف شئت ، فلن ترى الا الذبح والحرائق ، والتدمير ، والمطاردة ، والتظاهر .. هل هو نصيب شعب هذا ؟ .. ان تحمل اجياله العذاب قدراً مفرغاً لا نهاية له .. فاذا اردت ان تنزل عن كتفه بعضاً من هذا الثقل الاسطوري ، بادرتم انتم الى القول ..! الموت او تونس .. تلك هي تونس ( يشير الى الخارج )

فرحات : .. هي هنا في قلب عدالتنا ايها القائد ، اما تونس تلك التي تشير اليها ، فقد ماتت يوم ان استبيحت ..

حسان : اوتدفع الموت بالموت .. ؟

فرحات : .. اذا لم تهيء لنا الوسيلة لان نؤكد تعلقنا بها ، دون ان نموت ..

حسان : ..متنا من اجلها ..

فرحات : هو ذلك ايها القائد .. الموت ليس حقيقة ، وكذلك استمرارنا في ان نحيا .. الحقيقة وحدها هي المثل .. هي تونس ..

حسان : انت .. ماذا تدري عنها ؟ ..

فرحات : .. لقد جعلتها نصب عيني ، وما دونها يتهاوى ، فعل ضباب يبدده ضحى صائف .! . ( فترة ) .. ولكن ذلك ليس من فضائلي .. فقد تعلمت ان كره الخيانة في شكل الجنود وهم يجوسون في ارضي .. ان وقع اقدامهم يلوث الصدى ، ويرجعه حقداً موجعاً ، وهم يدوسون في مرح .. اما انا فأدرى ما هو تحت اقدامهم .. ثرى .. مزج من فتات التربة وجسد اهلي .. ان مزارعهم بيوتهم واشخاصهم نصب مزروعة حيث هي .. وفي شموخها تعال غريب.. اني انكر اشكالها .. وهذه المسوح التي ترتديها .. وتلك السمات التي حفرها في وجوههم تاريخ آخر .. ونفس ارض اخرى ..

حسان : .. ( محتداً ) كفى .. ان في قلبك عصب من كره الناس .. سواء اهلك وهذا الغريب ..

فرحات : .. نعم .. اني اكره اهلي .. فما اطيق ان يبصر احدهم هذه النصب مرتين .. فإما ان ينزعها ويلقيها بعيداً ، واما ان يسمل عينيه ..

حسان : ( ينتفض ) ماذا ؟ .. اني لن امد يداً اليك .. فقد اخذت المنظمة على نفسها عهداً بأن يستتب السلم .. وانا الآن داعية تعاون .

فرحات : .. اخذت انت هذا العهد .. بعد نكوث الفرنسيين بالهدنة ، وبعد سجن القادة ..

حسان : .. نعم اني امثل المنظمة الساعة.. وهو انا ما تبقى منها ! لاحمل هذه الرسالة .. اريد السلم .. شعبنا كله يضرع الينا من قلب محنته ان ننقذه من هذا الجنون ..

فرحات : .. فقد جعلت الهدنة اذن سبيلا لان تفرخ الخيانة ؟..

حسان : .. ( يغلي غضباً ) .. اني ادرك ما هو وراء جموحكم .. لقد كنت اكثر اشتعالا منك ، .. ولكن القوة اثقل من ان يكسرها هذا الجموح. انها ابعد حقيقة من احلامنا .. ولن يجدي تهورنا في ان نجعل من تونس ارض بشر

بسام — افتح جفنيك لحظة ودعني انظر اليك ...
(المشهد الاول — الفصل الثاني)

حقيقية . . اني اقبل الثمن كاملا . . ولسوف اروج للسلم ، واحقن هذا الدم الذي ينزف كأنه النهر .. فهو دم اهلي ! .. ( يرفع يده مقاطعاً ) انتظر ماذا في ايديكم انتم ؟. مدافع خربة .. وفؤوس ومدى .. ماذا في تونس الا الخراب . . هذه الجموع العزلاء الثائرة .. التي تخلف وراءها في كل معركة ركاماً من الجثث ؟؟ لو كنتم تردون الفرنسيين بان ترفضوا وجودهم دون حرب .. بدل ان تثبوا الى القتل وثباً ، بدل ان يثيركم مرأى الجنود ، فتفروا الى الموت . . لتطفئوا في اعينكم هذه الرؤية .

فرحات : .. ( هادئاً ) ايها القائد .. هل انت ناظر الي ؟

حسان : ( وهو يقعد على كرسيه لاهثاً .. ممتقعاً من الغضب ) .. ماذا ؟ ...

فرحات : انظر هنا الى وجهي ...

حسان : نعم .. ماذاني وجهك؟ اني ارى ظفراً يريد ان ينشب في عنق فريسته .. لست طفلا بعد .. ( يلهث في قوة ) اني ادرك ما وراءه ، .. ها هنا يمحي آخر ظل من الحب فيما بيننا .. انت الذي كنت قريباً الي قرب طفلتي ولكني لن اتراجع مع ذلك ، .. انقل هذا لرفاقك .. اني اطلب السلم في تونس .. ثم لسوف اطلبه في المغرب كله .. فقد نفضت يدي من الحرب ..

فرحات : .. نعم كنت اطلب لديك تبريراً .. لقد صار طريقنا مختلفاً .. ولكن فؤوسنا ومدانا ستظل تعمل . . ولن يصمت مدفعهم ابداً ، . لن ندع له راحة ،


٨٥

و لسوف يطلقونه في الهواء ، .. في الغابة .. في المزرعة في الليل .. حتى انفاس ارضنا سوف تفح عليهم عندما نجعلها مكتنزة بهذا العناد المسحور .. سوف نقاتل يا أبي .. فلا راحة لنا .. وهؤلاء الذين يلحقهم التعب ، سوف تريحهم الثورة بنفسها و ... بل دعني .. ان اطفالنا يصنعون لانفسهم بنادق من خشب .. ونحن نطعمهم الكره للاجنبي ونغذيهم بلبن الحقد .. ان الغول والشيطان والاسطورة تنسج خيوطها من جديد في ليالي الشتاء حول الموقد ، ونساؤنا تغزل . وتغزل .. وتتقد عيون الاطفال وينمو الكره في نفوسهم كما تنمو نبتة قوية في بستان خصيب .. الثورة ماضية يا ابي .. وهي لن تدعك حراً فتروج للخيانة ..

حسان : .. ( ينتفض مندفعاً نحوه .. مهدداً بيده ، ولكنه ينخذل في وجه الفتى الجامد القوي ) .. انت .. انت ..

( تندفع حسيبة ، معجلة )

حسيبة : ( صارخة ) كلا .. كلا يا أبي ..

يتلوى حسان فجأة ويسقط على المقعد في شبه غيبوبة من اللهاث)

حسان : ... اذهب .... انت ... انت ...

حسيبة : ( في جرس ملتاع ) فرحات ؟ ماذا كنت تقول ؟ ...

فرحات : ( يشيح بوجهه ) ..

حسيبة : .. فرحات .. قل انك لن تفعل .. انظر اليه يا فرحات .. لقد هدمه ماضيه .. هل ترى فيه الا ذكرى ؟

فرحات : .. نعم .. ذكرى ..

حسيبة : او انتم بمثل هذه القسوة ؟ . لقد سمعت ...

فرحات : ( ذاهلا ) هذه الذكرى .. يلزم ان تحفظ لتونس ، لا احد يملك ماضيه ، فهو حق الوطن ، .. لا احد .. ( يأخذ رأسه بين يديه ) لست ادري. لست ادري .. ان شيئاً ما يأكلني ..

حسيبة : فرحات انت لن توقع هذا الأمر بيدك ، .. انه الشرف .. هل سوف تستبيحه يا فرحات ؟. فقد رعى حبنا القديم .. انظر اليه .. الا ترى فيه ملامح شبابك ؟.. انت وانا يا فرحات .. كدنا ان نكون معاً ملء قلبه ..

فرحات : .. أبي .. أبي .. لماذا توقعني بيدك ؟ .

حسيبة : ( تهرع اليه وتأخذ في هزه ) انت لن تقتله يا فرحات .. ابتعد عن هذا الفعل .. يا الهي .! لماذا لا تجيب ؟ .. اليس هو أبي ؟.

فرحات : نعم .. نعم ..

حسيبة : ( تلاطفه بيدها ثم تدفن رأسها عند صدره وتنشج ) فرحات .. لا تدع الاثم يلوث قلبي .. هو وحده ملكي .. وحده .. احفظه من اجلي ، .. انت وهو ما تبقى لي .. انت .. انت تفر مني كما يفر الطيف ، .. وها اندى اكلمك وما ادرى ان كنت بعد حقيقة ..

فرحات : ( يمسح على شعرها في حنان ) .

حسيبة : هو يحسب فعلته فضيلة .. لن يتوارى يا فرحات .. وسوف يسهل قتله ..

فرحات : ( ينفلت منها ) الوطن يملكني يا حسيبة ، اني لن اوقع الامر .. وبرغمي سوف يقتل .. فرحات آخر هو الذي يدينه .. فرحات ممثل المنظمة .. فرحات الذي لا يملك من امر نفسه شيئاً ..

حسيبة : لماذا ؟ .. ( تثور ) لماذا تدع هذا الحقد يأخذك ؟ ..

فرحات : ( يلوح بيده ) اني ماض الآن .. خذي بيده ..

حسيبة : ( توقفه ) انا .. بماذا سوف تدينني ؟ ..

فرحات : .. كفى يا اخت .. حسبي نفسي ..

حسيبة : .. نفسك ! انك توغر صدري .. اذا قتلته يا فرحات .. دنستك انت .. سوف احفظ حبك ولكن فتاة اخرى غيري الآن .. سوف تقتفي اثرك .. وتصبغ قلبك بالدنس كما هما يداك مصبوغتان بالدم .. اذكر انه ابي يا فرحات ! اذا لم يغفر له ماضيه ..

فرحات : اواه .. ان ماضيه هو اداة ادانته .. لو لم يكن له ماض لصعب على الوطن ازاحته .. ان اسمه لن يلوث وسيظل للتمثال القديم اشراق وجهه ، في نظر الشعب .. سوف نكذب .. ولن يدرك احد الحقيقة وهي ان اباك قد غرس يديه في الوحل .. لم يعرف احد تهاونه ، وغدره للشعب .. لو كان متعاوناً صغيراً لضربنا به المثل ، ولكن هو اعظم من ان تصدق فيه الخيانة .. اعظم من ان نفجع ضمير الشعب به ..

حسيبة : انا .. يا فرحات ..

فرحات : .. ادري فجيعتك فهي موصولة الى قلبي .. ولكن حزنك غير قادر على انقاذه .. طوفي به الشارع فقد يعود اليه صفاء قلبه لعله يرى الى مواطنيه .. هيه ( يشير اليه ) .. لقد بدأ يسترد وعيه .. انقلي اليه هذا الامر .. تعطيه المنظمة اياماً عشرة ليعتزل السياسة .. ( يتردد ) .. اني امنحك وحدك الحق في ان تصدري حكماً علي .. الآن وداعاً .. ان حزني عظيم ، ولكني ادرك الآن معنى الثورة .. فقد اطعمتها قلبي دون ان اسقط ..

حسان : ( في صوت واهن ) حسيبة ..

حسيبة : ( ما تزال منتصبة في وجه فرحات ) نعم يا أبي ..

( تمضي فترة وهما لابثان في موقفهما ، عيناها غائمتان فيما وراء المشهد .. يتحرك فرحات متمهلا وينحني فيلثم طرف ثوبها .. ثم ينفلت مسرعاً ويفر من النافذة ) .

حسان : .. حسيبة .. خذي بيدي ..

حسيبة : .. ( وهي تجره من يده عبر الغرفة الى الداخل ) .. ابت .. هيا لنمض معاً .. انك ان تسقط من دوني ..

( يختلج كتفاها ، وهي تدير ظهرها الى المسرح ، ماضية الى الداخل

حسان : ( يقف ) اين هو .. ؟

حسيبة : .. ( تنظر خلفها ) هو كان هنا يا أبي وترك شيئاً ..

حسان : ماذا ؟ .. ماذا يا ابنتي ؟ .

حسيبة : ( في صوتها رنة بكاء ) تراجعك في ايام عشرة .. ( وهما عند عتبة الباب ) أو أمره بالقتل ..

( يختفيان ، وتبدو الغرفة الآن .. على حقيقتها ، عارية .. مهجورة .. كل اثاثها ينطق بالبلى .. يعظم شعور المتفرجين بهذا البلى كلما ترك المسرح مفتوحاً لحظات اكثر .. ثم يسقط الستار على مهل ، وقد غدا المشهد اشد إثارة للتخلص منه .. ويظل النور مع ذلك مفتوحاً حتى تخنقه الستارة )

* * *

## المشهد الثاني

( ظل سنديانة ضخمة ، فرحات ، فاضل ، بسام ، منكبون على منضدة واطئة يتدارسون – في همس – احدى المصورات بضعة مقاعد خشبية قصيرة . على مبعدة ينتصب حارس في اعلى الذروة ووجهه الى الغرب – سلاسل جبلية ممتدة على مرأى البصر ، الوقت عصراً ، تضطرب اغصان السنديانة بفعل نسائم الاصيل ولا شيء غيرها يكسر عمق هذا السكون الجبلي )

بسام : هل علمت – ايها الرئيس – ما في هذه المنطقة من التحصينات ؟.

فرحات : ( لا يرفع رأسه ) .. نعم فهي مدروسة ، لدى كل مزرعة هنا مفرز


٨٦

من السود ، وسيارة حربية ، وبرج حراسة .

بسام : .. كيف تنفذ اليها كتائبنا ؟ وددت لو اعرف ..

فاضل : .. كيف ؟ .. سوف يكون من نصيبك يوماً ان تقود فرقة الفدائيين.

بسام : .. ( ينظر الى الغرب ) اما تظن – ايها الرئيس – ان عقبة قد تأخر ؟

فرحات : لماذا ؟ .. لقد اعدت سؤالك اكثر من مرة ..

بسام : ( مضطرباً ) كلا لست ارى شيئاً ( يشير الى المصور ) ان اختراق هذه الابراج من عمل الشيطان .. وانت تعلم كيف هو عقبة ..

فرحات : .. لقد اصاب عدة مراكز في الشهر الفائت ، وخلص منها برجاله دون ان يغادر وراءه جريحاً واحداً ( فترة ) ليته يعود ، فقد مسني طرف قلق ..

فاضل : .. اتأذن ايها الرئيس ؟ . في انفاذ الخطة ؟ ..

فرحات : ( دون وعي ) نعم .. ( يذهب فاضل الى اليمين ، وراء المنعطف )

بسام : ( يقتعد الارض مسنداً ظهره الى جزع الشجرة ) اترى ايها الرئيس ، ان الهم يثقل نفسي . كأنه رصاص مصبوب وما ابطأ ما يجري الوقت ، لكأن الشمس قد اسنت لطول ما تسعى بين المشرق والمغرب – فهي متخاذلة تعبة كسلحفاة ادركها الهرم .

فرحات : (يلقي بنفسه الى جزع السنديانة ، .. ويتنهد بعمق ) هو الزمن نفسه الذي يرهقنا ببطئه ، ثم يسرح باعمارنا اسراع الجاهل الغر .. قلت الشمس – نعم فهي ثقيلة الجري لما تجر في كل غدوة لها من اهراء الضحايا . ولكنها الحرب يا اخي ، لا يدور فيها الفلك كما هو يدور عادة ، وانت اذا ما قست الزمن باعمار الناس خرجت من سني الحرب ، كما لو انك تخرج من التاريخ ..

بسام : ( في صوت عميق ) هو الموت ..

فرحات : نعم هو الموت .

( فترة صمت )

بسام : ايها الرئيس ، هل انت حزين بسبب الحرب ؟

فرحات : ايكون هذا هو الحزن ؟ ان قلبي مثقل بشيء ما .. احسبه نوعاً من الدمار الذي يخرب ما تحت وعي الانسان – انه صدع يبدأ صغيراً ثم ينتشر في جدار القلب البشري ، كما تفلق ضربة فأس جسم شجرة ، فاذا خرج منه احدنا ، بقي هناك في قلبه ندب منه ما يمحي قط ..

بسام : .. لماذا اذن يعتريني هذا الشعور فيهن تعلقي بالحياة ؟ .. اني لم اعد اتقي شيئاً خارجاً عني ، .. ( يتردد ) انت ايها الرئيس ، ولكن ايماني بالله نفسه قد اصابه مثل هذا الوهن .. يخيل الي ان الله يظهر هنا تخليه عن الانسان اكثر مما يظهره في السلم .. اليس هذا خطأ ايها الرئيس ؟ ..

فرحات : ( يسقط بجسمه على الارض ، قرب بسام ويربت على كتفه ) .. هو حق يا بسام .. فلا عزاء ثمة في الحرب .. وما يبررها كوننا على حق ، برغم عدالتنا ..

بسام : .. كيف نحارب اذن ؟ ..

فرحات : .. كيف ؟ . الست ترى ! .. فما نريد نحن هذا التبرير .. ان حرية الانسان ثمينة بقدر فكرة الله ، اذ هي الطريق اليها .. وهي ، اي الحرب ، عادلة من وجهه نظرنا .. ولسبب من كوننا خطأة منفصلين عن الله .

بسام : الله يتخلى عنا اذن ؟ ..

فرحات : .. حسناً يا أخي ، ولكنه العكس .. فالانسان هو الذي يطلق الله هنا .

بسام : ( متألماً ) هذا .. اني اخشاه .

فرحات : .. انت لا تجرؤ على مواجهته فحسب ، ولكنك تبدد اثمن ما تملك ، تبدد روحك التي هي ملك الله .. وصنعة يديه .

بسام : نعم .. ان روحي ملكي انا !

فرحات : .. هي ملكك على الطريق الذي تسلكه الساعة .. ان الانسان لم يتخل عن حريته لانسان آخر الا بعد ان تخلى عنها – من قبل – لفكرة ما فاستعبده الله.

بسام : ( يتحرك في مقعده ) ايها الرئيس .. اني ..

فرحات : .. انظر يا اخي .. الانسان ما يزال في عناء ازلي بسبب هذه الفكرة وكيما تتزن فكرة الله ، يلزم ان يصحح وضع الانسان . لقد ظل هذا الكائن ضعيفاً .. متردياً لانه حمل الله وزر اخطائه ، وماينقذه الآن هو في الواقع صنع شريعة جديدة ( يرفع يده مقاطعاً ) كلا .. دعني انتهي .. نحن نحارب من أجل فكرة ما ، حسناً ، فقد يدمر هذا الانسان المأمول الذي نقتل ، ونُقتل في سبيله كل هذه الشرائع التي نهيء لها نحن ، فهل ترانا ننكيء دون غايتنا اذا ما شاب افكارنا مثل هذا الظن ؟ . اني اجزم بالنفي .. فعندما تجعل الانسان حراً ، فانه يغدو جديراً بتحمل مسؤوليته كاملة ، .. قد يكون هذا صعباً ، وقد تثقل عليه حريته ، ولكن من اجل ان تنقذه .. يجب ان تمنحه الحرية ثم ان تحول بينه وبين ان يصير عبداً من جديد .. يجب – ايها الأخ – ان تحاكم العبد والسيد معاً ، فليس من حق في ان يبيع الانسان نفسه ثم نعفيه من العقاب ..

بسام : .. هل نحن نصنع ذلك حقاً ؟ ان احرار فرنسا ليسوا اكثر فضائل من شعبنا .


سلسلة الدراسات السياسية المعاصرة :

## اضواء على السياسة العالمية

صدر منها حديثـــاً :

- حرب التحرير في الهند الصينية
- وميض النار في المغرب العربي

من منشورات دار البيضاوي — بيروت

ص . ب. ٢٩٩٥ هاتف ٣١٣٠٧

الثمن : ١٠٠ غ. ل. او ما يعادلها

فرحات : .. كلا .. ليست الحرية السياسية كل شيء ايها الفتى .. فقد قلت ان ما ينقذ الانسان هو صنع شريعة جديدة ، .. واذا ما كنا نثور فقط ليأخذ كل منا حرياته السياسية ، فهذا هو الخطأ .. ان الفرنسيين يبعدون بين شعبنا واختيار مصيره ، وليس هو مصيره السياسي في ان يصبح حراً وكفى .. انما نحن نعيش الآن زمناً تاريخياً جديداً وحاسماً .. نحن نريد ان نصنع تاريخاً وليس دولة ..

بسام : كلا .. لست افهم هذا ..

فرحات : .. ( منفعلا ) .. انت المحارب لا تفهم ، .. نعم .. حسبك ان تكون محارباً ، فالمحاربون هم الشعلة في كل زمن ، انت تشعل وجدان الأمة ، ولكنه هو الذي يضيء .. لست سوى ثقاب ولكن اللهب سوف يتصاعد وينتشر ويبدد نوره كل معاقل الظلام المنشورة فوق ارضنا .. انظر اذن .. لماذا تثور هذه الشعوب في اصقاع الارض جميعاً ، وكيف تسير ؟.. ان البداية تكون دائماً من اجل ان يمتلك الناس مصيرهم .. ثم هم يصنعونه بعد ذلك .. حكمة .. وفناً .. وادباً وسياسة .. لقد ثار الروس .. والصينيون .. والهنود .. فهل اقتصرت ثورتهم على طرد القياصرة ، والاباطرة او الاجانب .. ( في حدة متزايدة ) .. انهم ينظمون لانفسهم شرائع جديدة ، وليس لغير انسان هذا العصر حظ حقيقي في تبديل قيم الحياة .. انسان هذا العصر المشرف من خلفه على خرائب الانسانية ، والمطل من امام على اشراقة المستقبل ..

بسام : ( يصيبه طرف من الحماسة ) انه حق هذا فيما ارى ..

فرحات : .. نعم .. نعم .. فعندما يصير لنا الحق ان نفعل بانفسنا ما نريد ، . عندما يصير لناهذا الحق يبدأ نضال الانسان العربي الحقيقي من اجل الحرية ، ولن يكون هذا خداعاً ابداً ، .. فنحن على مقربة من مشرق الشمس ، الحرية طريق النظام والشريعة والعدالة .. وهي غايتها ايضاً ! .. ولكن وجود انسان واحد خاطيء يعطل مجرى هذا النهر العظيم الرائع الانسانية .. فرد واحد لا يقبل ان يكون جهده هو بعضله وعقله ودون تسخير للاخرين ، مصدر بقائه ونموه الوحيد .. فرد واحد مثل هذا ينعم في الخطأ يجعل من هرقل الانسان الجديد قزماً .. وذلك يعني ان القتل له ما يبرره ايضاً ..

بسام : اني ارى هذا القتل ..

فرحات : لماذا تهيج لي حقدي ؟. ان الحرب لا يمكن تبريرها ولو كنت على حق ...

بسام : ولكن الخطأ ايها الرئيس .. هل تجد انت وسيلة اخرى ؟.

فرحات : .. هذا الخطأ الذي يجنح بالبشرية الى الخراب .. هذا الخطأ المزمن الذي داخل الانسان فخرب مفاهيمه الاصلية العفوية جميعاً ، ليس انسان هذا العصر اكثر مسؤولية عنه من انسان الماضي ، .. انه بناء مائل تاريخ البشرية قاعدته منحرفة كلها ، وهو من ثم صنيعة الاجيال منذ تفتحت اعينها على الحضارة . ولكن التبرير تجده هنا .. يجب ان يتوقف الآن كل شيء .. فنحن جيل هذا العصر قد وصلنا الذرى . اني اقول لك : على انسان هذا العصر ان يستأصل شأفة المرض ، فما هددت البشرية بالفناء الكلي كما هي مهددة الآن ، .. ( يؤكد على مخارج الفاظه ) نحن مسؤولون عن حضارة الانسان .. نحن مسؤولون عن ارض البشر جميعاً .. ولست اظن جيلا قبلنا قد حمل مثل هذه الرسالة .. وهذا التاريخ العربي يلقي على اكتافنا ثقل المهمة . شرفها ايضاً ، .. فاذا لم ينزل البشر الى حملها ، نزلنا نحن .. نعم بمثل هذه الوسائل .. بثلاثة الآف من المحاربين .. بشرف هذه الروح التي نحمل وحدها .

بسام : .. نعم ..

فرحات : .. علينا ان نضع حداً لا لآم الانسان .. ان القتل يشفي .. رغم كونه غير مبرر .!

بسام : .. قد يكون هو امر الله ايها الرئيس .. فالله هو المسؤول وليس نحن ..

فرحات : .. الله لا يصنع التاريخ .. فهذا مظهر بشري محض .. واذا ما اردت انت ان تحمل الله وزر هذا الخطأ ، فلننتظر مسيحاً جديداً يفدي الآم الف وتسعمائة وخمسين عاماً جديدة في دورة خلاص جديدة ..

بسام : ( يتراخى في جلسته ) .. يخيل الي ، انك تهتك حجب المستقبل ايضاً .. فانت تعلم عن الله اكثر مما اعلم

فرحات : ( ينهض فجأة ويدور حول المكان ) المستقبل ؟ اني اقدر ان اتصوره ولكن كلا .. فالمستقبل يصنع نفسه ، تخيله يا بسام .. فاضلا وجميلا ، ومفعماً بالتسامح والغبطة .. كل ما هو من شأنه اطلاق قوى الانسان المبهظة بثقل الاقدار الخارجية .. وهذا الحب الذي نملك الآن طرفاً منه اليس هو من صنع البشر ؟ .. رغم قدرهم السيء .. ولكن الروح طهر كلها .. وحنان كلها .. وحب كلها .. وهذه هي تبدو لنا من خلال التاريخ مسحوقة ملطخة بالقذرة ، . مرمضة بحزن ابدي لاعزاء فيه . . ( يقف في مواجهته ) انا نحن نكسر عنها ذلك الثقل الخانق .. وهي من ثم وحدها الجديرة بان تتيقظ ، وتسيل ، محبة وعدالة ، وأمناً هي .. اما نحن ، .. فيجب ان نلزم عتبة هذا التاريخ الجديد ..

( صمت )

بسام : .. ( يطبق جفنيه ) هل تسمع الى الاصيل ايها الرئيس ؟ ..

فرحات : ( يقعد ) دعك . اني اسمع شدواً آخر ..

بسام : : .. كل شيء يبدو وكأنه قد حدث مرة ولن يعود .. البيت .. والاهل .. وعقود العشق التي عصف بها التشرد وعيون فتياتنا الدامعة وهي تدور في الحي باحثة .. لهي قد كسرها اليأس ..

فرحات : نعم .. تستطيع انت ان تنبش ذكرياتك .. فقد دفنتها يد آثمة غير يدك ..

بسام : .. احدثك ايها الرئيس عما ليس حقيقياً في حياتي ..

فرحات : انت ترى اذن ، فالحرب هي الشيء الحقيقي الحاسم .. قبل ان ترحل عن مزرعتك ..

بسام : .. نعم .. نعم ..

فرحات : .. دونك اذن هذا الخطأ .. فانت قادر على محوه .. ادر في رأسك ذلك المفتاح الى ما قبل المأساة .. تمنحك طفولتك ما انت في مسيس اليه من عزاء ..

بسام : .. ( يرفع رأسه ) ايها الرئيس ..

فرحات : .. ( غير مهتم ) انتم تنظرون الي في شفقة لا اريدها . انتم تحترمونني وتقبلون طاعتي ، .. بلى .. وانتم حين تخلون الى انفسكم يحلو لكم ان تنكروا نموذج هذا الرجل السيء ..

بسام : ( مقاطعاً ) ارجوك ايها الرئيس ..

فرحات : .. انتم تتململون بسببي .. وتبررون كل ما تأتونه في قياسكم الفارغ بما اتيته انا .. نعم .. لقد انحدرت في قسوتي ، فما انا بعد بانسان عادي .. صرت ظالماً ، وسفاحاً ، وقتلت والد تلك التي احبها ، وذلك كله يبرر ترفعي عن مصائر الرجال الآخرين .. الذين يتقبلون في سعادتهم وشقائهم على مستوى مصير معقول .. هؤلاء يقبلون ان نحكم عليهم .. اما انا ..

بسام : .. ايها الرئيس .. اقسم ..

فرحات : قتلته .. قتلته ، ولتم تروني معذباً في ترصدكم الخائر لتأثري .. في نظراتكم الهاربة .. المتخفية وراء اقنعة من اللامبالاة الكاذبة .. لقد قتلته بسبب من خيانته .. وجعلته شهيداً برغمي .

بسام : .. ( متلهفاً ) انا لم اذكر ..

فرحات : لماذا ؟ لماذا لا تذكره ؟ .. وقد كان خليقاً بكم ان تناقشوني فيه .. هذه تونس تجري في دمي ، فهل يحسن بها ان تنحني عند قدم امرأة .. وتلعقها لتفدى الماً صغيراً ؟.. تونس تسفح الدم الآن ، ، وهي بيضاء الوجه من مرأى الموت ، ومن النقاء ايضاً .. هذا شيء غير انساني .. نعم ..

بسام : .. ايها الرئيس .. نحن نزحف لنرقى الى وقفتك .. فانت تطل علينا ، والى ما وراءنا .. الى شيء نريده ولا تبصره اعيننا .. وليس هذا مغضياً لنا ..

فرحات : ( يلتفت اليه ) تعلمت يا صغيري .. من معاناتك الثورة .. حسناً .. ولكني انا مثلكم سفاح .. ارى الى نفسي وانا انسلخ كل ساعة كما تنسلخ قشرة الشجرة بفعل مدى الاطفال العابثة ، ، انا احب مصيري هذا وارتضيه . لادفع عن احساسكم جزع مسؤولية مستمرة .. اني راض ولن اطلب اليكم ان تكفوا عن هذا العبث .

بسام : .. ( ينهض ) لست انت الجدير بالرثاء ايها الاخ .. بل نحن ..

فرحات : كلا .. لا احد .. الا يغبط احدكم ان ينظر الى نفسه ولا يجد ثمة ما يحتجزه عن العودة ؟. كلكم يصنع هنا البطولة فاذا ما انقلبتم عائدين سربلكم مثل هذا الفخر الذي يستشعره رجل هو وحده المنقذ .. دونما غور اخلاقي مفتوح في صدره.. وصرتم ايضاً اكثر اشراقاً ونبلا في عيون من تحبون..اما انا..

بسام : ..كفى يا أخي ..

فرحات : دعني .. لقد قام بيني وبين ماضي هذا العار .. كلا اني اصر على تسميته عاراً .. لان الكلمة بسيطة وقاطعة . لقد وقعت امراً بقتله .. وهأنذا ما ازال اداة لكل هذه الاحداث التي نقترفها .. لست انا الا اداة .. ( ينفجر في انفعال بالغ ) .. ان وجودي هو مدية الثورة ، هو المقصلة .. و هذا قلبي .. لقد اصبح اسود لكثرة ما اعتلق من الدم ..

ابسام : .. ( يمشي الى طرف المسرح ثم يقفل راجعاً ) انت تصدقني ايها الأخ ، نحن رفاقك اشد تألماً منك .. بل نحن ندرك كيف ان المنا هو دون ان يعطيك شيئاً ..

فرحات : ( يخرج من جيبه الداخلي رقعة صغيرة ويدفعها اليه )

بسام : ( يقرأ الرقعة ثم ينظر في حزن الى فرحات ) هل ..

فرحات : .. نعم .. لقد بعثت الي بها اثر مصرعه ..

بسام : ( يقرأ ) « شكراً .. لقد فتحت عيني على اشياء اكثر حقيقة من موته .. سوف اتم طريقك » ..

فرحات : ( يأخذ الورقة منه ويودعها جيب سترته) حسناً .. هل نرجع الآن ؟

بسام : ( في صوت جاف ) ليرحمنا الله .. ايها الرئيس ..

( يجلسان لحظة جنباً الى جنب ، وينكش فرحات الارض بعود جاف في يده )

بسام : هل سألت ..

فرحات : نعم .. نعم .. ولكنها ذهبت ..

( فترة )

بسام : هيه .. لقد ذهبت ..

الحارس : ( يهتف فجأة ) ايها الرئيس ..

فرحات : ( ينتفض ) ماذا ؟ ..

الحارس : عاد الرفاق ايها الرئيس ..

بسام : .. ( ينهض ) عقبة .. لنمض . . لنمض فوراً . .

( يذهب دون ان ينتظر الأمر )

الحارس : ايها الرئيس .. انهم يحملون جر حى ..

فرحات : .. ( منفعلا ) هل ترى ؟ ..

الحارس : .. اني لا ابصر ..

فرحات : ماذا ؟ قل ..

الحارس : ( في رنة يأس ) كلا ليس هو بينهم .

( يقفز فرحات مندفعاً الى يسار المشهد )

الحارس : ايها الإلٰه .. لقد سقط عقبة ..

– يسدل الستار –

## المشهد الثالث

( نفس المشهد السابق ، الوقت ضحى ، عقبة مسجى عند جذع السنديانة ، ظل الشجرة يمتد باستمرار نحو مقدمة المسرح .. فرحات ، بسام ، فاضل ، احد المحاربين ) .

بسام : ( يدور حول الشجرة ويقف فوق رأس عقبة بالغ التأثر ) الست سامعاً يا عقبة ؟ ( في صوت باك ) عقبة يا اخي ..

( ينظر الجميع في حزن يائس )

بسام : .. هو لا يتكلم .. لا يريد ان يتكلم ايها الرئيس ..

فاضل : .. دعه بسلام ! انه يحس التياعك ، دون ان يعي ..

بسام : ( يفرك كفيه ) نعم .. انه يحس .. لماذا ؟.. ولكن انظر اليه ، هو لا يريد ان يسمع ( ينحني على الرجل الجريح ) يا عقبة .. ايها الشجاع !..

عقبة : ( يتنهد )

بسام : .. اواه ! افتح جفنيك لحظة ودعني انظر اليك .. ( يمسكه من يده المهملة قربه على الارض ) كيف فعلت ذلك ؟. كيف .. كيف..( يرفع رأسه ) لماذا يداه باردتان ! ..

فاضل : دعه يا بسام ..

بسام : انـــه ..

فاضل : قلت .. دعه .. هو بحاجة الى الراحة ..

بسام : ( مختنقاً ) ولماذا ؟ الن يذهب ؟ هل سوف تلقاه ثانية ايها الأخ ؟.

فاضل : .. نعم .. هو معنا دائماً ..

بسام : .. ( ينحني على الجريح ويفتح عينيه بيديه ) ارني كيف فعلت ذلك . من اجل الله .. هيا اطلقها يا عقبة ،وخل نظراتك الجريحة تحكي لنا ما هو مدفون فيهما..( الى المحارب الواقف عند الزاوية ) قلت انه مشى الى البرج ...

فرحات : ( محذراً ) بسام ..


صدر حديثاً عن دار المكشوف

# الروم

في جزئين

في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم

وصلاتهم بالعرب

للدكتور اسد رستم

بسام : .. ( يحدق اليهم في نظرات ذاهلة محمومة ) سوف ينهض .. علي فقط ان اعيد على مسمعه القصة ، وهو لن يستطيع ان يرفض الانصات الى النهاية .. اذن .. لقد مشى الى البرج ، وكنتم تصلون المزرعة نيران بنادقكم والآلة تدور في مواجهتكم .. كنتم مختبئين خلف السور ، وكان عقبة يرى الى كل هذا ..

فرحات : بسام

بسام : .. نعم ايها الرئيس .. لقد فكر عقبة مدى دقيقة .. هل فكر حقيقة ؟ ان عقبة ينظر الى الفكرة من خلال يديه .. ثم لا يجعلها تبرد في رأسه .. لقد مشى الى البرج وهو يخطو ثابت القلب فوق ارض المزرعة العميقة الرخوة .. ( يفتح عقبة عينيه في تثاقل دون ان يلحظه بسام ) .. وكانت القذيفة في يده ولكن حراس البرج لم يروه .. هل تدري لماذا ؟ .. هل تدري .. ان عقبة شجاع ، ولكن المشي الى البرج...

فرحات : كفى ايها الأخ ...

بسام : .. انتم لا تطيقون سماع قصة عقبة ( يحرك يديه في اشارات مضطربة مفككة ) كانت القذيفة في يده ، وعلى مبعدة امتار فحسب ابصر به الحارس ، وجعلوا فم المدفع نحو صدره ، ولكنه استمر في مشيته ثابت الخطى .. وكان يحدث نفسه .. « اجعلهم يهدأون يا عقبة .. ان السود لا يجيدون التصويب .. وهم يسقطون حبات الزيتون برصاصهم .. هيا تقدم يا عقبة .. فان الرفاق على اهبة الزحف وراء الحجر .. والمدفع ينصب في وجههم سوراً من النار ، دعهم يهدؤون يا عقبة » .. وكان المدفع قد بدأ يئز

عقبة : ( يفتح عينيه الذابلتين ويميل برأسه محدقاً في رفيقه بحنان ذائب )

بسام : .. ( وتملكته حمى ) .. وكان المدفع قد بدأ يئز .. فقد اخطأ عقبة هذه المرة ، وجعلهم يجنون قهراً وهم يبصرون مشية العنيد الثابت .. وكانت هناك تسع رصاصات على مدى جسده المتقلص. وقد درزته درزاً وهو يرفع يده ويهوى بالقذيفة.. كان يتلوى عند كل رصاصة كأنما هو حشرة لئيمة قرصته في موضع من جسده .. ان عقبة لم يكن يفكر بالموت .. ان عقبة لم يكن يفكر بالموت ، ولكنه تلك اللحظة كان يمشي اليه في عرس من زغاريد النار.. اواه يا اخي .. يا اخي الحبيب

( يأخذ وجهه بيديه ويشرع في نحيب عصبي متقطع )

عقبة : ( يرفع يده في جهد ويمسك طرف سترته ) .. بسام ..

فاضل : .. انظر يا بسام .. ان عقبة يسمع اليك ..

بسام : .. لست استطيع .. لست استطيع .. ( يسقط على الارض قرب الجريح ويدفن رأسه عند كتفه ) .. انت هنا يا عقبة .

عقبة : ( يضحك في مرح عفوي ) .. هذا انت دائماً يا بسام ..

بسام : .. لقد ايقظتك .. اواه ايها الاله .. ولكنك لم تشأ ان ترد علي الليلة كلها .. لو قلت كلمة فحسب !

عقبة : اما قلت لك !

بسام : ( يهز رأسه ) قد فعلت .. نعم ..

عقبة : ( وهو يمسح شعره بيده المتخاذلة ) لو رأيت الى ذلك الرعب الذي غشى عيونهم يا بسام .. والقذيفة منطلقة نحوهم .. كيف رفعوا ايديهم يأساً وفرقاً من الموت .. ( يسعل في صعوبة ) لقد تركوا المدفع ولكن القذيفة هي التي اخطأت يا بسام فلم تنفجر ( يضحك ) ثم ..

بسام : نعم .. نعم يا اخي ..

عقبة : ثم هم جمدوا في انتظار المعجزة ، وتركوني امزقهم اشلاء بقذيفة اخرى .. هل تدري يا بسام ان رؤية الموت تقعد الانسان ، بل هي تشله كانه ينظر الى حدث ساحر ،.. ( يتنهد ويشجب صوته ) .. اواه .. ان كل شيء يختلط في رأسي الآن .. ( يتململ في الم ) كأن قوة وحشية تجذبني اليها من حيث لا ادري .. انني .. انني اهوى .. ( ينقطع صوته )

فرحات : ( يذهب اليه ) هل ترى الى رفاقك يا عقبة .

عقبة : .. ( يهذي ) ايها الأخ .. ايها الأخ .. النار .. اطلقوا النار .. ( يضرب بيده الارض ) كلا .. الى المزرعة .. دعوها تحترق ( يصرخ فجأة فيندفع فرحات نحوه ويأخذ رأسه بين ذراعيه ) .

فرحات : .. اني اتركك تموت هكذا . ولكن من يستطيع ان يفتدي عذابك الكبير . من يستطيع يا عقبة ( يلتفت حوله ) فلينظر احدكم ماذا فعل الرجال ( يحتد ( قلت فليأتوا بطبيب .. فلبسرقوه .. فلينتزعوه من قلب المدينة .. انظر اليهم يا بسام ..

( ينحني على رفيقه الجريح ويأخذ في تقبيله ) الست ظالماً لك يا اخي ..اني لم احسبك عرضة للموت. لقد خلت ان شجاعتك هي فوق ان تمس.. ولكن الصديد ينفجر الآن في قلبي .. وانا اجد نفسي عاجزاً عن حمايتك .. يا رفيقي .. يا رفيقي الشهيد .. ( يبكي )

ينطلق فاضل خارج المكان ويظل الرجال مسمرين في مواضعهم .. شاخصة ابصارهم الى جسد الجريح )

عقبة : ( يصحو قليلا ) انت يا فرحات ( يعبث في وجهه ) او تبكي ايضاً.

فرحات : انت تتألم يا عقبة ..

عقبة : ( يسعل ) انا .. هيه ألست تجدني متماسكاً ( ينظر حوله ) ماذا فقدت من الرجال ايها الرئيس ؟.

فرحات : واحد فحسب .. واصيب بعضهم بجراح خفيفة .. ولكنهم عادوا بك يا اخي ..

عقبة : نعم .. نعم لقد فعلوا ..

فرحات : سوف تشفى قريباً وتأخذ مكاني ..

عقبة : انا !! ..

فرحات : ( يهز رأسه متأثراً ) بل فانا ذاهب الى المدينة ..

عقبة : ما .. ماذا ؟ تريد ان تعمل مع السياسيين ؟ ..

فرحات : هم لم يخطئوا بهذا القدر يا اخي ..

عقبة : هم .. هيه ( يشيح بوجهه ) ..

صالح : هو .. اخيراً .. اسمع يا عقبة ..

عقبة : حسناً يا فرحات .. عندما تميل الى السلم وتحس هذا الضعف الطارئ ثانية .. فانك لن تجد هنا غفرانا .. ( يتجعد وجهه بفعل عارض من الألم ) ايها الرئيس ، ماذا تجد عند السياسيين ؟..

فرحات : كلا يا اخي ..اني افهم السياسة . سوف اقود منظمة المقاومة داخل المدينة .. وتظل انت هنا تغذي بشجاعتك الرجال .. انهم شديدو التعلق بك ..

عقبة : اواه .. ايها الرئيس .. تريد ان تفر اذن ،ولكني ميت..انني ميت هذه المرة ، فانا ابصر الآن اخوتي الذين ذهبوا .. لقد ذهب رفاقك القدامى جميعاً يا فرحات وهذا هو آخرهم يسلم الساعة نفسه وليس هناك بعد من انسان تكشف امامه مزق نفسك الباسلة .. لقد غدوت الآن وهماً .. بل اسطورة ..

فرحات : دعك من هذا يا عقبة .. فان الحديث يؤذيك ..

عقبة : ( يضحك ) هيه .. اني ما زلت قوياً ، ولست اسمع نبض قلبي

— التتمة على الصفحة ١٠٥ —


٩٠

— تتمة المنشور على الصفحة ٩٠ —

فهو هادئ .. صلب كعادته .. ولكنك لن تذهب ابداً .. اني اعلم ذلك ..

فرحات : نعم انا لن اذهب ، ماكنت ملقى على الارض .. سوف يأتي الطبيب الآن وينقي جسمك من هذه الرصاصات الآثمة

عقبة : دعني اذن اموت هنا وعيناي مفتوحتان في النور ..

فرحات : ولكنك لن تموت يا عقبة ..

( يسمع وقع خطوات من وراء الذروة .. ثم يقبل شاب في مقتبل العمر ، في اثره فاضل )

فاضل : هوذا الطبيب ايها الرئيس ..

فرحات : ( ينظر اليه طويلا ) ماذا ترى يا سيدي ( يشير الى عقبة ) ان رجلا هنا وقد درز الرصاص جسده وهو لا يريد ان يموت ..

الطبيب : ( ينحني فوق عقبة ويسمع الى نبضه ثم يزيح الغطاء قليلا عن جسمه ) انا لست جراحاً .. ولكن ..

فرحات : ايها الطبيب .. هل سوف يموت ؟ ..

الطبيب : ( متلعثماً ) هو .. لست ادري فقد لا يموت قط .. ( في همس ) اني اعجب في الحق كيف يقدر ان يتنفس ( يقف مترددا دون ان يحاول شيئاً )

عقبة : احملني ايها الرئيس ..

الطبيب : هه .. بل دعه هادئاً .. ماذا ؟ ..

فرحات : ( يقعد على الارض وينقل رأس عقبة لصدره )

الطبيب : دعه .. قلت دعه .. انك تقتله هكذا ؟ ..

فرحات : ( ينتفض ) انا .. انا اقتله .. الست ترى اليه ، لقد رفض ان يموت حتى يشعرني بما يحترق في داخله ، انه يتلوى هكذا امامي عمداً .. ايها الرجل .. ايها الرجل .. انت لا تعرفهم لا احد يعرفهم .. رفاقي هؤلاء .. انهم يسقطون في الموت ثم ، يمسكهم شيء ما في داخلهم من ان يلفظوا رمقهم الاخير كأنما هم موصولون بسبب غامض الى الارض .. لقد طعن سبع مرات ولكنه لم يمت .. لماذا هذا العذاب العظيم ، لماذا لا يشبع الله من تضحياتهم ( يمسح بكفه المرتجفة وجه رفيقه ، وهما يهتزان معاً ، احدهما من الألم وآخرهما من الفجيعة )

عقبة : امسكني يا فرحات ..

فرحات : .. الا تسمعه ؟ ..

الطبيب : ( متأثراً ) اني عاجز ايها الأخ ، فسوف يقضي حالا ..

فرحات : انا .. انا المسؤول انا القاضي هنا وحدي .. هم يطلبون المعجزة ، ولكن ماذا تراني افعل لقد سقتهم الى الموت سوقاً .. اني .. رحمة ايها الاله .. اني انفذ حكم الاعدام برفاقي جميعاً ، وهذا هو الجريح يشهدك على ذلك .. اني ادفعهم ببندقية خربة وانتظر ان يدحروا المدفع وابراج الحرس .. وكيف لا يموتون من ثم .. اواه ( يضرب وجهه ) اواه ان الاغتيال لاخف وقعاً على نفسي ، فليس لدي هنا مقص اقطع به قلوبهم الجريحة النازفة حياتهم .. لا تقترب يا بسام .. لقد تألم كفاية .. وهو لن يموت هونا .. لن يموت الا في النور

بسام : .. ( باكياً ) الاخير .. قد اكلت الثورة الناضج جميعاً اما انت ( الى فرحات ) فقد صفيت وانك باق لتشهد النهاية بنفسك هذا الأخير .. ان عقبة .. يموت كيما يحسم النزاع .. الموت يسوقنا الآن .. الموت وحده ..

عقبة : ( ينتفض ) فرحات .. اين انت ..

فرحات : ( يوثق قبضته حول صدره ) هذا هو نفسك يتردد علي صدري .. الله وحده اقرب مني اليك .. الله وحده يا عقبة ..

عقبة : .. لماذا ترتجف .. قل انك لن تذهب الى المدينة ، .. هذا الدم للول .. هذا الدم .. فرحات يا أخي هل قتلنا خطأ .. اني اقترب من الله ..

رحات : .. امشي اليه .. امشي ثابت الخطوة يا عقبة ..

عقبة : هذا الدم قد سقط على يديك يا فرحات .. يا اخي الرئيس ..

فرحات : هو ذا يورق على يدي ، وقد صبغتا بنزيفك .. يورق اخضر .

عقبة : .. ( شبه ميت ) لن تخون القضية .. لن تطعن تونس يا فرحات ..

فرحات : .. اني لن افعل ايها الحبيب .. اني لن افعل .

عقبة : .. ( في نبرة غائرة ) سوف ينتهي كل شيء .. قريباً .. قريباً تعودون الى الارض وتأخذون معاولكم الصدئة حيث طرحت جانباً .. سوف ينتهي كل شيء .. اني .. اني .. ابصر تونس ، هذا هو النور .. هذا هو النور

فرحات : ( يهزه ) انت تموت ..

عقبة : ( يفتح عينيه في نشوة اخيرة ) النور .. انظروا ايها الأخوة .. اننا نمشي جميعاً في الشمس .. في نور الشمس .. في نور الشمس .. في تونس .. ( يسقط رأسه في انتفاضة اخيرة )

( فترة صمت .. تحرك انسام الجبل اطراف الاغصان . يركع فاضل .. بسام .. المحارب .. ويظل الطبيب واقفاً .. مسموراً )

فرحات : .. ( ينزل راس الشهيد من على صدره ) ان احداً لن يذرف الدمع هنا فيلوث عظمة هذا الموت .. ( يرفع طرف الغطاء فوق وجهه ) هذا عربي آخر قد انزل من على الصليب ..

الطبيب : ( متأثراً ) لقد كان جليلا في موته ..

فرحات : الكلمة .. ارجوك ايها الأخ .. ان الكلمة تبهت عند جسده الراحل .

الطبيب : آسف يا أخي .. ( ينسحب من المكان يرافقه المحارب )

( فترة صمت : ينهض فرحات )

فرحات : .. تأخذ مكانه يا بسام .. وانت ايها الأخ ..

فاضل : ( ينتفض ) ماذا ايها الرئيس ؟ ..

فرحات : انت .. انت تأخذ مكاني ..

فاضل : ايها الرئيس ..

فرحات : هو امر يا أخي .. اني ذاهب الى المدينة ..

بسام : .. ( محتجاً ) الم تقل ؟ ..

فرحات : لقد قلت .. لقد قلت .. ولكن وعداً قطعته لشهيد محتضر لن يبدل في امر القيادة شيئاً .. انما نحن هنا جنود فحسب .. ( ينظر الى الرجلين نظرة قاطعة لا رجعة فيها ) والآن .. ايها الرفاق وداعاً .. سوف ندفن عقبة ويمضي كل الى شأنه ..

( يتبادل بسام وفاضل النظرات ، ثم ينسحبان الواحد اثر الآخر في صمت )

فرحات : ( يسقط فجأة على ركبتيه ويمسح جبهته بطرف الغطاء ( غفرانك يا أخي .. لقد كذبت .. كذبت .. اني لن استطيع الاستمرار هنا .. لقد صفحت من قبل .. اني لم اعد اصلح لهذا العمل .. سوف اقسو على رفاقنا ، سوف اظلمهم وادفعهم دفعاً الى الموت .. لقد غدوت جزاراً يا عقبة .. وانا اشهدكم تصرعون جميعاً امام عيني المفتوحتين الملتهبتين .. لا شيء في الآن غير الحقد .. لقد التهمتني الثورة .. قرضتني قرضاً .. لا نقطة من عطف او اثر من حنان في . لست الآن الا وحشاً .. اواه .. ان جنوناً متمرداً يزأر الآن في صدري ، لاشيء .. لا شيء من خشية او خوف او تردد ( صمت ) انت تفهم يا اخي فالعاصفة تقتلع في طريقها كل شيء . البيوت والمزارع .. والناس .. والثعابين



١٠٥

في نفس الوقت ، ولست انا الا عاصفة .. ( صمت ) سوف تفهمني .. بل انت تفهمني يا عقبة .. اني اخاف من نفسي .. اخاف .. اخاف ..

( يهتز جسده كله في نشيج عصبي متقطع ) ..

انظر الآن يا عقبة .. سوف اجعلك تستريح تحت الظل هنا .. حيث كنا نقعد ونسمر ،.. حيث كانت ارض العرب تعبر خيالا سائراً في رأسينا .. حيث كنا نصل ما بين حدودها .. ويلتقي عربي المشرق بالمغرب ، . في فلك اضاءته لي بحبات قلبك يا عقبة .. ( صمت ثم ينهض ) وداعاً يا اخي وداعاً يا اخي .. وداعاً ايها المواطن ،.. يا رفيقي في السلاح ..

( يذهب الى طرف المكان الى اليسار ،ويقف مولياً ظهره النظارة )

فرحات : ( يصرخ على المسرح كشخص غير مرأى ) ايها الحارس .. ادع رفاق عقبة ! ! .. وليلق كل عليه نظرة .. فهو راحل الآن ..

( ينزل من وراء المنعطف .. ويسود الصمت الا من حفيف الأغصان .. وهبات النسيم التي تصفر صفيراً بين مداخل الشجرة .. ويسدل الستار )

* * *

## الفصل الثالث

– المشهد الاول –

( غرفة ضيقة ذات نافذة وحيدة مسدلة الستار ، الى اليمين منضدة زينة ،وفوقها مرآة مثبة في الجدار ،الى اليسار بضعة مقاعد عريضة من القش ، وفي الزاوية ستارة من الكتان تسحب فتحجب سرير النوم .. اثاث الغرفة يشعر بأنها مخصصة لفتاة مشرب ، صدى موسيقى صاخبة تبلغ الغرفة من الطابق الارضي مخنوقة بسبب البعد

فرحات يجوز ارض الغرفة جيئة وذهاباً ، وعلى قسمات وجهه ينبض شعور غريب ، هو مزيج من القلق والتحفز ، الغرفة مضاءة ، يسمع خفق خاص على الباب فيهرع فرحات ويفتحه . ..

( يطل رأس من فرجة الباب )

الرجل : هي قادمة ايها الرئيس .

فرحات : حسناً .. حسناً ..

الرجل : سوف اترصد في الزقاق الخلفي ( يتردد ) ايها الرئيس .. سوف لا يمكنك ان تتأخر .

فرحات : ( في ضيق ) اذكر ذلك .. حسناً .. ( ينصرف الرجل )

فرحات : .. ( وحده ) كيف تطيق ذلك ، ايها الاله .. ايها الاله ..

( فترة صمت .. ثم يسمع وقع خطوات نسائية تتوقف لدى عتبة الباب ، وتدار اكرته وتدخل امرأة في ثوب فاضح يكشف عن نصف صدرها متبرجة ، مصبغة الوجه .. نتبينها بعد وهلة فاذا هي حسيبة )

فرحات : ( يتوقف ، ويتراجع وينظر اليها كسير الوجه )

حسيبة : ( مفاجأة بعض الشيء ) انت .. ماذا ؟ ..

فرحات : ( يظل محدقاً اليها في ذلة مؤلمة )

حسيبة : فرحات .. فرحات .. ( تندفع اليه ) يا الهي كيف جئت..كيف ؟

( تشير في حركات مضطربة مفككة الى المكان )

فرحات : ( يسقط فجأة على ركبتيه ) اني ارى الآن .. يا حبيبتي الطاهرة .. جئت باثمي وذلي .. جئت مصدع القلب .. ضائعاً .. اواه حسيبة .. لماذا فعلت ذلك .. لماذا ؟ ..

( تطفر الدموع من عينيه ويختنق صوته ) حسيبة.. كيف فعلت ذلك ؟

حسيبة : ( تضع يدها على رأسه ) كيف يا صديقي..( تحتضنه )اني.. خاطئة .. اترك هذا المكان .. اتركه حالا ..

فرحات : ( يمسح رأسه في حضنها ) يا صغيرتي .. يا حبيبتي الصغيرة ..

حسيبة : قد جزت الحي الاجنبي .. الست تدرك ما تفعل .. انت ( ترفع وجهه اليها ) الست محكوماً بالاعدام يا فرحات ..

فرحات : ماذا جدث ..كيف صرت هنا .. ( يرتجف صوته )

حسيبة : ( تتماسك قليلا ) انهض ايها الثائر .. هيا .. ( تجره من يده الى احد المقاعد ) سوف تبقى هنا دقائق فحسب .. ان المشرب غاص بالاجانب (تذهب الى المرآة وتصلح من زينة وجهها ) وها انت ترى فان عمل الليل يدعوني ..

فرحات : .. ادري .. فقد علمت اليوم .. وهذا هو الندب ينفجر في قلبي على وسعه .. اني لا اطيق هذا .. لست اطيقه ..

حسيبة : ( تضحك في عصبية ) انت ؟ ..كيف ذلك ؟ ..

فرحات : ..كفى تعذيباً ،.. اني ادرك هذا .. فقدكنت– وحيدة، مقهورة.. اواه ،، ولكني لست افهم وهو ظني الرهيب الذي يعذبني افجع العذاب .. انه ظني .. فقدكنت مسؤولا ،.. قولي هذا .. ارجوك .. ارجوك ..

حسيبة : ( تلتفت اليه ) او تشك في

فرحات : غفرانك يا الله .. اني لا اجرؤ على التفكير ابداً .. ولكن لماذا ؟. لماذا ؟..

حسيبة : .. الم تقطعني يا فرحات ..

فرحات : .. نعم . لقد فعلت ! ..

حسيبة : ثم ..

فرحات : ثم قتلته .. لاتشفقي علي .. اليس هو من شأني ان اقتل ..

حسيبة : .. لقدكنت احبه ..

فرحات : نعم .. نعم ..

حسيبة : وكان رؤوفاً بي .. هو ابي رغم خيانته .. ولكني قد غلبت ايضاً. بسبب حبي .. فلم استطع ان ادينك انت .

فرحات : .. نعم يا اختي .. اني ادرك ذلك ..

حسيبة : ( تلوح بذراعها ) لست ادري..فقد اقمت حزينة زمناً ..واحسبني سأظل على حالي هذا .. اني .. اني لم استطع ان اغفر لك يا فرحات ..

فرحات : ( ينهض ) وهل انا طامع في هذا .. هل سألتك ان تفعلي .. لقد كنت بائساً ، شقياً ، ولكني لم ارجو ان اجرح قلبك فوق ما فعلت .. ان الندم لن يفعل من اجلي شيئاً ..

حسيبة : ولم تندم ؟ .. قد ادركت ان هذه العاطفة كانت تذهب في سبيل خاطيء ، اني لم اكرهك اكثر من دقيقة واحدة ، ولست قادرة على ان افعل.. ولكن شعوري بفقدانك كان بليغاً كطعنة مدية في القلب .

فرحات : من اجله !..

حسيبة : كلا ، فقد علمت انه ميت ، اما ان تنفذ الحكم بيديك .. بيديك يا فرحات .. ( تغطي وجهها بكفيها ) ان ذلك رهيب .. رهيب ..

فرحات : .. يا الهي .. لماذا لم ينصب حقدك علي .. لماذا لم تلجيء الى كرهي.. وفضلت ان تدمري نفسك ؟

حسيبة : اني لا استطيع .. لا استطيع .. اشعر انك تفكر كثيراً .. لولم يكن عدلا لما فعلته انت. وقد فعلته

فرحات : .. هل علمت ذلك ؟ ..

حسيبة : .. ( ترفع وجهها .. نعم .. انت لم تشر به ولكنه طعن فجأة ولبث امره من ثم معلقاً .. اليس هذا ما رمت اليه .. ان اناساً يلقون تبعة قتله على


١٠٦

على الجمعيات الاجنبية الارهابية ، وقد انقذته انت من غضب الشعب ولعنة التاريخ .. فقد كان ماضياً في سبيله ، .. انك تعلم كل شيء ، .. فقد قبل منصباً في حكومة الخونة ولكنه ما استطاع ان يتقلده ، لم تدع له الفرصة لينكشف ..

فرحات : .. لقد قتلته .. مع ذلك ..

حسيبة : اني عارفة اذ ليس بوسعي ان اغفر لك ..

فرحات : ( ينتفض ) بل كان حقدك هو الذي دفع بك الى هذا المسلك ..

حسيبة : انا .. انه ليس حقدي وقد تكون عظمتي ..

فرحات : .. ثم تجدين تبريراً لهذا الفعل ، وتشغلي نفسك بالتجسس لحساب المنظمة .. متطوعة ..

حسيبة : ( تنفعل ) لست اشتغل لكم .. انك صغير اذ تفكر بذلك .. انك صغير .. صغير .

فرحات : اواه .. من اجل ماذا اذن ؟ .. انك لم تفكري في قط .. فقد فقدت كل شيء ، حتى احلامي ، كل شيء قد تدنس .. اواه ، .. ان الانسان لا يستطيع ان يحيا بالحقد وحده ، ويمضي به هكذا ملوياً على نفسه ، مضغوطاً كشيء متصلب ، فعل آلة موقوتة لغرض مقصود .. لقد كنت ..

حسيبة : ( بي نبرة جافة ) ما زلت تحسب نفسك اذن ..

فرحات : الست بشراً انا ؟ .

حسيبة : ( مندفعة في غضبها ) انت ماذا تعني .. امضي الآن .. امض فيما تقول .. ان خطيئتي رهيبة قاطعة لانها قتلت في داخلك هذا الشعور النادر بالارتياح – لماذا تطلبه .. لماذا تجن الماً لفقده – انه لست انا التي تبكي الساعة. انت تبكي مشاعرك الجريحة .. فقد فقدت الاشياء الجميلة كلها حتى ما هو من حقك .. – اخلاصي – .. ان الوطن هو انت .. انت الذي يستحيل الى تمثال ، الى صنم ، انت الذي يبحث عن مريدين يعبدون فيك هذه البطولة ، وهذا الفداء ، من اجل هذا ترفض ان تقبل الجرح .. هذا الجرح الذي يدميك وحدك ، انت باسمك المجرد ، انت فرحات القديم والحاضر والمستقبل .

فرحات : ( في فرح ) لقد صدقت .. من اجلي قد فعلت ذلك ..

حسيبة : ( تنفجر في البكاء ) من اجل عظمة نتنه .. اني ارفض .. ارفض ..

فرحات : ( يندفع اليها ) حسيبة .. لنمضي فوراً .. الآن هيا نفر .. ( يأخذها بين يديه )

حسيبة : ( وقد استسلمت باكية بين ذراعيه ) انقذني .. اني احس المرض في كل ما افعل اني مريضة الى حد فظيع .. فرحات ..

فرحات : نعم .. نعم يا حبيبتي ..

حسيبة : ( تقبل عنقه وشعره ) لقد اساؤا الي يا فرحات .. ان روحي تبكي هنا متضجعة في صدري .. اني اكره الرذيلة .. اكرهها ..

فرحات : اواه كم تأذيت ايتها القديسة الصغيرة ..

حسيبة : هم يطلبونني دائماً .. هم في اثري ككلاب الصيد ، عيونهم المحمزة الملتهبة ، واذرعتهم القاسية التي تعصر صدري لقد جرعوني الخمر ليال بأسرها وسهرت من اجلهم ، وعرضت لهم جسدي لينهبوه نهباً بافواههم القذرة ( ترتجف كأن بها حمى ) جربت ان اقتل نفسي ( تضحك ضحكاً هستيرياً ) ولكني كنت انتظرك ، كنت اريد ان اقرأ هذه اللهفة الرقيقة الحلوة في عينيك ( تنفصل عنه ) اما زلت تحسبني جميلة .. فاتنة يا فرحات .

فرحات : انت .. انت ..

حسيبة : تريدني ايها الثائر الضال ؟

فرحات : ( يهز رأسه هزات متتالية )

حسيبة : ( في لهجة مختلفة ) وتحسب اني ماضية معك ..

جسيبة – هيا تقدموا ايها الكلاب ...

( المشهد الثاني من الفصل الثاني )

فرحات : سوف تفعلين .. ولن تلبثي هنا بعد .. ان الجريمة لا تفدى ( يرق صوته ) لقد تعذبنا كفاية يا حسيبة وحق لنا ان نهدأ ..

حسيبة : ( حالمة ) الجريمة لا تفدى ... بلى ... اني ماضية في سبيلي ...

فرحات : انتظري هنا ( يتحرك نحو النافذة ثم يتوقف ) لماذا تنظرين الي هكذا ؟ ...

حسيبة : اني القي نظرة وداع ..

فرحات : ماذا ؟ .. اواه ... انت لن تستمري حقاً .. يا الهي الن ما ظنك في نفسي ... انت لن تستمري قولي هذا ..

حسيبة : ( تذهب الى المرأة وتعمل على تصفيف شعرها ( نعم .. لن اذهب ابداً مع قاتل ابي )

فرحات : ( مصدوماً ) هو .. ولكن .. يا الهي الن تغفري لنفسك ابداً ؟ ..

حسيبة : ( تحدق اليه من خلال المرأة ) انظر الي جيداً .. هل انت ترى حقاً فتاتك القديمة .. انظر الي كيف افعل ، انظر الى صدري هذا ( تعرى ثوبها عن جزء كبير من ثدييها وهي تلتفت صوبه ) .. الى ساقي ( تسحب ذيل فستانها ) لقد اكلت منها الذئاب .. انظر الى وجهي الذي صنعته المساحيق .. انظر هنا .. ان الحقد والرذيلة والتردي مغروزة جميعاً تحت عيني وفي جبيني .. هل هو في وسعك ان تمحو مني العار .. ان بطولتك عاجزة عن ان تفدي هذا القذر .. انا ملوثة .. مسمومة فقد دفنت في نفسي تلك الرغبة في ان اتطهر لقد

املت فيك ولكني لن اخملك عاري ابداً او اسقطه على .عظمتك انني اريده . اريد هذا العار كفى .. لقد قتلت أبي وبقيت حافظة لك هذا الحب .. انا لا استطيع ان اغفر تعلقي بهاتين اليدين الملطختين بدم أبي .. انا هنا ( ترتجف في عصبية ساحقة ) .

فرحات : ( في الم قاهر ) حسيبة ..

حسيبة : كلا .. كلا .. لن اكف ابداً .. اريد ان انفض ما بقلبي جميعاً .. انا هنا اعاقب نفسي .. لقد كذبت عليك فانا الآثمة الغادرة .. انا الآثمة ، وقد صفحت عنك من قبل يوم ان قهر حبك حقدي .. ثم .. نعم استمع الي .. ثم قبلت فكرة الادانة التي اعتقدت فيها انت .. لقد قبلت ان تقتل ابي .. اواه.. كيف لي ان اظل نقية .. واعطيك هذا الحب .. وابارك يديك اللتين اهدرتا دمه وهو الذي يصرخ بي من مكانه البعيد ان اثأر له.ان نداءه يصعد الى اذني من اعماق غرائزي ، ويحرك في تهيجي الحيواني .. قاتل ابيك قاتل ابيك .. وانت هو يافرحات .. انت هو ..

فرحات : ( يمشي اليها ) كفى الآن ( يأخذ مسدساً من جيبه ويدفعه اليها ) انتقمي مني ..

حسيبة : ( تضحك ضحكاً عصبياً ) اضرب الوطن .. هيه .. اعد هذاالمسدس.. اعدهالى جيبك الله وحده يستطيع ان يقتص من العدالة التي هي وسم فوق جبينك ..

فرحات : الست ترفضين بفعلك هذا امر الله .. وامر الوطن .. وامر العدالة ؟

حسيبة : اني كذلك .. لقد ادركت انك لست مسؤولا عن قتله .. ولست انا ولكني ارفض امر الله ولست اريد دفعه .. لقد احببتي هو .. ولكنه اخطأ .. ما انا فلم اخطيء ، وسأظل احبه ..

فرحات : هل يريد ان تحملي هذا الصليب على ظهرك ..

حسيبة : ليست ارادته التي تهمني .. وليست هي برائتي ايضاً .. انني مسؤولة عن قتله .. وسأكفر عن فعلتي هذه ، دون ان اطلب خلاصاً .. انا اخدم قضية الوطن .. وادنس جسدي في نفس الوقت وبذلك اثأر له ..

فرحات : وتثأرين منه .. ومن الوطن ، ومني ..

حسيبة : نعم .. واثأر منكم ايضاً ..

( فترة )

فرحات : ( يلوح بيده ) نحن ننحدر جميعاً .. ننحدر حتى الهاوية .. ولست اجد سبباً لان يغرق الانسان في الوحل من اجل ان ينقذ الانسان .. الغاية لا تكفي .. فالوسيلة هي على قدر سواء معها ، .. وذلك هو ما يعذبنا.نحن نروي بالدم لاننا نقتل ، وليس في وسعنا ان نبرأ ان الله هو الذي يقدر ان يخلصنا . الله .. وليس الانسان القاتل .. ( يتردد ) اني احترم شعورك يا اخت . واطلب منك الصفح .. فليس من سبيل لان ننقذ ما تبقى منا .. ليس من سبيل . ( يهم بالذهاب ) ..

حسيبة : ( في صوت واهن ) فرحات ..

فرحات : نعم يا حسيبة ( تبدو عيناه نديتين بالدمع )

حسيبة : هل تؤمن بذلك حقيقة يا فرحات ؟ ..

فرحات : ( يهز رأسه ) بلى .. فانت طاهرة ..

حسيبة : هل .. هل تجدني على حق يا فرحات ..

فرحات : انت لست على حق .. ولكن ليس في وسعك ان تفعلي غير ذلك .. ان بطولتك مخلصة ..

حسيبة : اني قد ..

فرحات : ( ينظر اليها طويلا ) لست ادري .. فقد يحدث هذا ..

حسيبة : اني خائفة يا فرحات .. خائفة من الله ..

فرحات : ذلك طبيعي ، فانت باسلة ..

( فترة صمت ، يتبادلان خلالها النظر ، واجفي القلب ، ماضيين في عزمهما الصلب الثابت )

حسيبة : فرحات ..

فرحات : ( يركع عند قدميها ويقبل طرف ثوبها ) وداعاً يا اختي .. لقد كنت في قلبي دائماً ..

حسيبة : نعم .. نعم لقد كنت يا فرحات ( تمد يدها فتمس شعره مساً رفيقاً ثم تجذبها بسرعة ) انهض .. انهض يا فرحات .

( يذهب فرحات الى النافذة فيزيح الستارة ويصفر ثلاثاً ، ثم ما يلبث ان يسمع ترجيعاً لاشارته )

فرحات : ( عند النافذة ) قفي هكذا .. نعم والآن وداعاً ..

( يهبط من على النافذة متعلقاً بيديه ثم يقفز الى الأرض خارجاً )

حسيبة : ( تركض الى النافذة وتسقط عند عتبتها وتروح تقبل مواضع يديه ) وداعاً يا اخي .. يا حبيبي ..

( تنفجر في بكاء حاد متواصل )

( فترة صمت .. ثم يقرع الباب اولا وثانياً )

صوت : ( من وراء الباب ) روز .. روز ..

حسيبة : ( تنهض وهي تمسح دموعها ) من ؟ ..

الصوت : .. جاء صديقك الفرنسي .. روز .. هل انت سامعة ؟ ..

حسيبة : فليأت ..

الصوت : ماذا ؟

حسيبة : ( تصرخ ) فليأت .. فليأت هذا الفرنسي .. ( يمضي الرجل )

حسيبة : ( تمشي الى المرآة وتصلح من زينتها ) فليأت ( تضحك في حقد ) فليأت طلباً للذته .. ان شجرة الزيتون تطعمهم ثمرها ولكن الافعى في جوفها تنفث في السمر .. هيه .. ايها الضابط الصغير .. سوف تحكي لي كل شيء .. سوف تحكي لي كل شيء .. ان شهر ذاد تريد ان تعرف متى ينتهي صباح رفاقك الذين يلوثون ارض تونس وهم يخبون سعياً وراء الفدائيين .. ( تنفجر في الضحك ) ايها الفرنسي الحقير ان ثدي سوف يسقيك الموت وهذه هي الافعى في قلبي .. ( تستدير الى الباب كاملة الفتنة ) ادخل ايها الكلب اللعين .. ادخل ( تدق بقدمها الارض ) ادخل قبل ان يقتلني هذا السم .. هيا قبلني قبل ان تزرق شفتاي ( يختنق صوتها في انفعالها العظيم ) ايها الرجل الصغير سوف تعقد بنفسك الحبل حول عنق رفاقك من اجل تونس ..

( يسمع خفق قدمين ثقيلين في الرواق .. مقترباً اكثر فأكثر نحو الغرفة حين يسدل ستار المشهد الاول )

* * *

## المشهد الثاني

( الغرفة ذاتها ، والنافذة مفتوحة على الليل في الخارج ، تظهر حسيبة من وراء الستارة الداخلية وهي ترتدي ) «الروب دي شامبر» فوق فستان سهرة نصف كاس .. تقف قبالة المرآة وتسدل خصلات شعرها المعقودة فوق رأسها ، ثم تمسك كتاباً وتقلب في صفحاته وما تلبث ان تطرحه جانباً ، تدور في حيرة.بين زوايا الغرفة ، وتذهب اخيراً الى النافذة .

( فترة صمت يسمع بعدها وقع اقدام مسرعة في البهو الخارجي ثم خفقات متلاحقة على الباب )


١٠٨

الصوت : روز .. روز ..

حسيبة : ( مجفلة بعض الشيء ) ماذا ؟ ..

( يفتح الباب ويطل منه رأس رجل شائب )

الرجل : روز

حسيبة : ( تتطلع اليه في صمت )

الرجل : لقد دخل احد الوطنيين هذه المنطقة .. ( تنتفض المرأة ) .. انه مصاب بطلق ناري فقد تعرف عليه احد الجند ..

حسيبة : ( ترتعد في مكانها )

الرجل : ان الحانة في هرج ، ويقول الضباط انه ارهابي خطير ، وهو لابد من ان يدخل مكاناً ما هنا !.. اذ ينزف دمه بغزارة ( تسمع تحت النافذة وقع خطوات مسرعة ) اسمعي انهم يبحثون عنه .. قلت انهي اليك الامر فقد يطرق الرجل بابنا .. هل تسمعين يا روز ..

حسيبة : ( تلتوي بجسدها كله نحو النافذة ) اذهب .. اذهب بسرعة ..

( يتطلع اليها الرجل في حيرة ثم يقلب شفتيه ويطبق وراءه الباب )

حسيبة : ايها الاله ( تمد جسدها من النافذة ) ايها الاله ( تعود الى الغرفة وتلقي بنفسها على المقعد ثم تنتفض فجأة وتذهب الى الباب لتتسمع ) ايها الاله العظيم ..

( يعود السكون ثانية الى المسرح ، في حين تسقط حسيبة على ركبتيها امام الباب وتتطلع الى السماء الغرفة في ضراعة ) ..

حسيبة : ( في مرارة ) احفظه يا الله .. احفظه من اجلي انا الخاطئة ..

( صمت ، يسمع خلاله تنهدات المرأة وتمتماتها ، فجأة تظهر يد مخضبة بالدم على حافة النافذة ترتفع قليلا قليلا ، ثم يظهر فرحات الذي يتسلق النافذة في عسر بالغ ) .

فرحات : حسيبة ..

حسيبة : ( تجمد في مكانها )

فرحات : حسيبة ..

حسيبة : ( تدور حيث هي ثم تقفز اليه معجلة ) انت .. فرحات ايها العزيز ( تجره الى المقعد فيقعان معاً وسط الغرفة ) انت .. يا الهي اين ينزف الدم ؟ ..

فرحات : ( يتحدث بصعوبة ) انظري الى نفسك .. هيا لنمضي بسرعة .. انهم يتعقبونني ( يعض على شفته من الألم )

حسيبة : اواه انك تنزف يا فرحات ( تكتشف عن جنبه الايمن ) ..

فرحات : ( يبعد يدها ) قلت هيا ، ليس في وسعك ايقاف النزف فهو جرح غائر ( يرق صوته ) اسرعي يا حبيبتي .. لنبعد عن هذا المكان ( يهم بالنهوض فيسقط متلوياً من الألم )

حسيبة : الطبيب ..

فرحات : كلا .. انتظري .. اني اوثر الموت ، فسوف يطيلون في عذابي ..

( تتردد المرأة ثم يعبر في رأسها خاطر فتمزق قطعة من قميصها الداخلي وتلقها حول وسط الرجل )

حسيبة : نعم .. نعم ولكن اهدأ الآن .. يا الهي كيف جئت يا فرحات .. كيف ؟ ..

فرحات : ( يبتسم ) هؤلاء الاوغاد .. ان ملامح وجهي محفورة في اذهن السود ، فقد تعرف علي ما ان لمح طرف رأسي .. الوغد .. هيه .. لقد اطلق النار ولم يجرؤ على الاقتراب مني .. واخذ يصرخ بلكنته القذرة .. فرهات .. فرهات .. هيه ( يضحك )

حسيبة : لماذا ؟ .. لماذا اتيت يا فرحات ؟ ..

فرحات : ( يتطلع اليها في حزن ) هل كنت قادراً ؟ ..

حسيبة : اواه .. انت تنزف دائماً ( تأخذه الى صدرها ) لماذا جئت الي انا الخاطئة .. انا الخاطئة ( تبكي ) وفي هذا المكان يسقط دمك ايها البطل ..

فرحات : ( مستسلماً لمداعبات يدها التي تعبث في شعره وعلى عنقه ) .. اني اجدك الآن بعد سنين .. ولا استطيع ان اصدق .. ( يرفع يده المترجفة المصبغة بالدم وينظر اليها ) انظري كيف ترجف يدي .. وقد كنت اريد ان ارفعك بها .. حسيبة ..

حسيبة : نعم يا حبيبي ..

فرحات : اعيدي هذه الكلمة .. اهتفي بها في [illegible] يأخذ علي السمع ..

حسيبة : ( وهي تبكي ) يا حبيبي .. يا حبيبي [illegible]

فرحات : هل رأيت يا حسيبة .. ( يشحب صوته ) كنت سأعود الى الجبل في الغد ، وقد اعددت لك حصاناً نجوز عليه الشعب [illegible] مطلع الفجر ، وكنت ستلبسين من اجلي ثوباً ابيض ضيقاً فلا يزعجك ركوب الحصان ، .. آه .. كلا دعيني مستريحاً على صدرك ..

حسيبة : ارجوك ، لا تجهد نفسك بالحديث يا فرحات ..

فرحات : ( تضيع نظراته الذابلة ) الليل في الجبل يا حسيبة .. كان لنا كوخ


لتجليد مجموعات

« الآداب »

وسائر مجلاتكم وكتبكم

اقصدوا محل

جمال الدين

بناية التياترو الكبير

« بيروت »




١٠٩

صغير من القش ، وعلى مبعدة خطوات منه سنديانة وليدة غرسها عقبة بيديه قبل ان يذهب .. هل تعرفين عقبة يا حبيبتي .. لقد كان بطلا ، وبيدي هاتين جعلته يستريح في النور تحت السنديانة .. اما كنت ستحبين الرجال وهم ينطلقون في الفجر ، ثم وهم ينشدون اغانيهم الريفية الحرينة في الليل ..

حسيبة : لا تتكلم انت تنزف يا فرحات ( تمسح بيدها الدم الراشح خلال مزقة القميص )

فرحات : ( يرفع يده ويتحسس وجهها باصابعه المتخاذلة ) اما كنت ذاهبة معي يا حسيبة . اسأ اليك الفرنسيون ، وسوف تغفرين لي .. آه .. ها انت تهرمين يا صغيرتي وما تلين تقاطيع وجهك الحلو ( يمسح الدموع المتساقطة على صفحة خدها ) انت تبكين .. لماذا ؟ .. سوف يشق عليك ان تخرجي مع الشمس فتأتي بدلو الماء المصقع ، ولكنك لم تعرفي طلوع الشمس في الجبل .. كنت انا وعقبة ننتظرها كل فجر فنجلس على الصخر ، ونفتح اعيننا في النور

( يشد على اسنانه ) حسيبة ..

حسيبة : نعم يا حبيبي ..

فرحات : كنت اتردى بسبب تلك الفكرة .. انت تفهمين .. آه ( يلتصق بها ) لم اطق تحمل خطيئتي فليس في وسع الانسان ان يصير الهاً يا حسيبة .. الله وحده هو الذي يستطيع ان يدين انساناً ولا يشعر بالندم .. اني .. اني ..

حسيبة : اسكت يا فرحات ارجوك ( تنحني فتقبل شعره واعلى وجهه جميعاً ) انت بين ذراعي الآن وجسدك يختلج كطفل مذعور .. ان شيئاً ما يجعلني سعيدة ، رغم انك تنزف .. شيئاً ما يا فرحات ، انياجدك راجعاً الي ..اواه الا تستطيع ذراعي الحانيتان ان تمسكا حياتك الهاربة ( في همس باك ) فرحات ..

فرحات : ( زائغ النظرات ) هو يأتي .. ينفجر في صدري ..

حسيبة : ماذا يا حبيبي ..

فرحات : شيء ما يقبض عروقي ( يرفع يده باحثاً عن شيء في الهواء ) اريد ان ارى .. ( يحرك رأسه ( لماذا تغيم عيناي .. حسيبة ..

حسيبة : انت .. اواه .. يا الهي ..

فرحات : هيالنمض الآن ( يبذل محاولة يائسة دون ان يستطيع تحريك جسده )

حسيبة : الى اين .. ( تنفجر ) الى اين ايها البطل .. ) تمسك وجهه وترفعه اليها ) انظر الي .. انت تقضي وليس في وسعي ان افعل لك شيئاً .. انت تقضي ولن يرى الله الى الملك العظيم لماذا .. لماذا يتركنا الله الآن وقد دفعنا الثمن .. الم اغسل عاري هنا .. الم اجعلك تندم بعد ان لوثت يدك بدم أبي .. كيف يريد الله منا ان نغفر وهو لا يفعل .. كيف يريد الله ..

فرحات : الله .. ( في صوت ميت ) الله لا يندم .. هو الانسان .. آه اقترب مني هل سوف اجعلك تنسين هذا الويسكي..حسيبة .. ان ندمي يجعلني ضعيفاً ويعيد الي انسانيتي .. هل .. هل سوف ترجعين..( يختنق صوته ثم وهو يطبق فمه يندلق من زاويتي فمه الدم ) .. من اجل تونس ..

( ينتفض جسده في تقلص فجائي ثم يسقط رأسه في حجر المرأة )

حسيبة : ( تتطلع اليه ذاهلة . ثم ترفع رأسها وتجيل عينين لامعتين واضح لنظراتها في زوايا الغرفة .. تهزه قليلا ثم تحنو عليه وتدفن رأسه في صدرها ) لقد مت .. ومت ..

( فترة .. ثم يسمع وقع اقدام تقترب من الباب وتقف لديه ..يطرق الباب .. عندما لا تجيب المرأة ، يدخل ضابط وصاحب الملهى .. ووراءهما بضعة من الجنود ..

احد من الجند : هو .. ( يشير الى فرحات الممدد على ارض الغرفة وصدر المرأة ) .

حسيبة : ( تلتفت الى الجميع ) هو ... انت لن ترى وجهه ابداً ..



الضابط : ( في لكنة اجنبية ) هيه .. هو عند روز .. البطل ( ينفجر في الضحك ) البطل ..

صاحب المقهى : يا الهي اي مشهد هذا ؟ ..

الضابط : ( ما يزال يضحك ) مسرحي .. ها .. ها .. لقد اختار نهايتكم يفعل الروائيون ..

( يتماسك فجأة ) تقدم انت .. ( يشير الى احد الجند ) واسحب هذا الثائر ..

( يتقدم الجندي وينحني في شيء من الرهبة نحو الارض )

حسيبة : ( الى الجندي ) الن تدعه ايها الصديق .. ان جسده ما زال حاراً طر لم يبرده الموت .. دعه ينزف بين يدي هذه القطرات الأخيرة .. اواه .. انظ اليه .. لقد كان جباراً بالامس .. وهو الساعة كالطفل المروع على صدري .. ارجوك ايها الصديق .. فهو لم يتشف قط فوق رأسي جندي قتيل ..

( يتردد الجندي لحظة ثم ينسحب الى الوراء )

حسيبة : ارأيت ايها الجندي .. لم استطع ان انقذه فقد رفض ان تجدوه حياً.. هل لكم انتم شأن بجسده ، وقد افرغت منه الحياة ..

الضابط : ( في خشونة ) اسحبه ..

حسيبة : (تشد جسد فرحات الى صدرها باكية ) تريد هذا الجسدايها الطابط ؟

الضابط : اسحبه ( يدق الأرض بقدمه )

( لا يتحرك احد من الجند )

حسيبة : لماذا لا تطيعون قائدكم ايها الاصدقاء .. هي نزوة شجاعة تملك مشاعركم فتعصون الامر .. لماذا ؟ .. ( في نبرة قاسية ) انت .. لماذا تريد ان تكون جباناً وانت امام الموت.. كان اسمه ( الى الضابط ) يعصف بقلوبكم رعباً .. وكنت تخشع اذ تتمثل صلابة هذا الوجه البطل ..لقد مات وقلبه ممتلىء حماسة ونبلا من اجل وطنه .. وكان نادماً بسببكم جميعاً .. انتم ايها الدببة القذرة الجارة خلفها اثقال العار فوق ارض تونس ( تلوح بيدها في وجهه ) اسمع انت .. ايها الضابط الصغير ..

الضابط : .. ( يصرخ ) كلا .. الخاطئة ..

حسيبة : ( تهز رأسها ) لقد غفر لي هذا الرجل ، ولست انت الا حشرة تسقط فوق حثالة اللحم .

( تعبث بيدها في ثوب فرحات .. ثم تجذب فجأة مسدساً من احد جيوبه ) تقدم الآن ايها الضابط وكن شجاعاً مرة امام الموت ..

( تفاجيء الجميع حركتها الخاطفة )

حسيبة : ( تهز جسد الرجل ) انظر اليه يا فرحات كيف تتسمر رجليه في الحياة .. وكيف هو جسدك مسجى هنا عظيماً .. باسلا .. وليس فيه غير فضلة من الدم .. ( الى الضابط ) انت تخاف الرصاص ايها الضابط لقد خشي هو ان تهزم نذالتكم هذا الشعور النبيل بقدر المحارب فتعذبون جريحاً مشرفاً على الموت وتقطعون عليه الندم بسبب قتلكم .. ثم مات هنا بين ذراعي ..

صاحب المقهى : روز .. كوني عاقلة يا روز .. سلمي الجثة .. انقذي روحك يا بنية ..

حسيبة : اسكت انت .. ان هذا الضابط نذل فلم ينحن امام بطل شهيد .. انه غير جدير بمس طرف ثوبه .. سوف اقتله عندما يخطو خطوة ليس غير .. سوف اقتلك هل انت سامع ايها الضابط ( تتشنج يدها على مقبض المسدس ) والآن انصرفوا .. جميعاً .. هيا... ( تصرخ ) كلكم .. خارج هذا الباب ( تلوح بالمسدس فيتحرك الضابط منسحباً ويتبعه الرجال ثم يغلق احدهم الباب وراءه ) ..

انتظروا

# وثبة ( الآداب ) الجديده في سنتها الخامسة

تحقيقاً لما أخذته « الآداب » على نفسها من اطراد التقدم ، عزمت على القيام في سنتها الخامسة بوثبة جديدة تحاول ان تستكمل فيها اسباب النقص ، في سبيل تزويد المثقف العربي بكل ما يحتاج اليه من آثـــار الادب والعلم والفن

حسيبة : ( تبعد وجه فرحات عن صدرها ) الآن .. ارني وجهك .. اما كنت راضياً وقد جعلتهم ينتظرون ان ينطفيء كل شيء فيك .. لماذا انت صامت ايها العزيز كنت تحدثني عن الشمس والجبل ، وكنت قد اعددت ثوباً وحصاناً .. اردت ان ارى رجالك السمر وهم يجوبون الشعاب ..( تبكي بحرقة ) .. تموت هكذا بعد ان انتصر على همس الخطيئة في نفسي .. تموت نادماً ( يختنق صوتها بالبكاء ) ماذا تريد ان اصنع بك وهذه الذئاب متحفزة وراء الباب .. كيف استطيع ان انقلك الى السنديانة على الذرى حيث يغفو رفاقك ؟ هل تريد ان اقتلهم ؟. اقتلهم يا فرحات فما ينفع ندمك الساعة شيئاً .:

( يدفع الباب فجأة ويندفع الجند .. تطلق حسيبة النار دون وعي .. فتردى ثلاثة منهم دون الغرفة وتصيب الضابط في ذراعه فيقفز من الالم ويتوارى بعيداً ).

حسيبة : ( تنهض وسط الغرفة ) هيا تقدموا ايها الكلاب ( يرتجف ظلها بفعل النور على جدار البهو الخارجي وهي تهتز ) هل انت سامع هذا النغم يا فرحات . هل انت ناظر الي ؟ .. كيف اريهم واحداً واحداً ( تنفجر في ضحك عصبي مختلط بالبكاء ) لن ينفع الندم انت لا تقتل رجالا .. انهم بعوض يريد ان يهمي على وجهك الشاحب ويلعق من فوقه الدم ..

( يسمع وقع اقدام مقبلة فتضغط زناد المسدس على الفراغ ( تقدمو .. ايتها الحشرات التي تأكلها التفاهة ايتها الضباع الجبانة الزاحفة على جسد ميت ..

( يطلق صبيب من النار آت من البهو ) ها .. ها اسمع ايها البطل كيف يضربون امرأة اكلوا بالامس من جسدها ( يندفع جندي اسود وبيده مدفع اوتوماتيكي وهو يرش منه النار رشاً ) ..

حسيبة : ( يغرز الرصاص في جسدها فتتقلص جميعاً وتسقط على الارض ) ايها الاسود .. آ .. ( يهتز جسدها المثقوب في حين يدخل بضعة جنود ، يتبعهم ثلاثة من الضباط الى الغرفة ،ويقف الجميع مسمرين امام المنظر الفاجع..

حسيبة : ( تجر نفسها في عناد ميت نحو القائد الشهيد .. وتبلغه بعد دقيقة ثم تمزق طرفاً من ثوبها وترتفع بجسدها للمرة الأخيرة وهي تغطي وجه القائد بمزقة الثوب وتسويه بيدين ميتتين .. ) .. ( في صوت مختنق ) لن .. اد .. عهم .. لن ادعهم يرون وجهك فهو .. ميت .. ميت .. ونادم ..

( تنتفض في عنف وتسقط بنصف جسدها المرتفع فوق وجه القائد في تشنج اخير .. يرفع الجنود قبعاتهم بحركة آلية ويسود صمت عميق ثقيل لحظات .. ثم يسمع اقدام عسكرية منتظمة تدق في البهو ..

( يسدل ستار الختام ووقع الاقدام يتعاظم حتى يبلغ الغرفة )

اللاذقية

**مصطفى الحلاّج**



١١١